رواية

زهار العاشق

للكاتب

أ / مايكل يوسف سلوانس

بيانات الرواية

اسم الرواية :

زنـهار العاشق

اسم الكاتب :

أ. مايكل يوسف سلوانس

تصميم الغلاف :

أ. نورهان عصام همام

مراجعة لغوية :

د. أحمد السيد عمار

اسم الرواية / زنهار العاشق

اسم الكاتب / مايكل يوسف سلوانس يوسف

الرقم القومي : ٢٨٨٠٩٠٨٠٣٠٠٢٧١

*** ملخص الأحداث :**

سارة شابة جميلة جداً ، توفي والدها منذ عدة سنوات قليلة ، وهي تقيم مع والدتها ، تخرجت من كلية الخدمة الاجتماعية ، تزوجت من مهندس يدعي أيمن ، ولكنها لم تنجب منه ، ذهبت إلى كثير من الأطباء حتى تتمكن من معرفة سبب تأخرها فى الحمل ، إلا أن جميع الأطباء أقروا إنها سليمة ، ولا يوجد أي موانع للحمل فقط مسألة وقت . مر على هذا الوضع أكثر من ثلاث سنوات ومازالت مشكلتها قائمة . اقترحت إحدى السيدات على نادية أم سارة ، وذلك عندما شكت لها حال أبنتها أن تذهب إلى أحد المعالجين ، لأنه من الوارد أن أحداً ما قد دبر عملاً لها بتعطيل الإنجاب ، فى البداية لم تقتنع الأم بكلام جارتها هذه ، ولكن بعد تفكير عميق وتردد ، قبل الطرق على هذا الباب وتحت الضغط قررت الأم أن تصارح ابنتها بكلام الجارة وذهبت معها إلى الشيخة صباح ، والتي كانت تعالج بالقرآن الكريم ، إلا أنها لم تنجح فى علاجها ، فاضطرت الأم أن تذهب بها لساحر يسمي بالطوبجي ، حيث أقر بوجود سحر معمول لها من طرف ابن خالها ، وذلك بسبب أنه تقدم لها وتم رفضه ، عمل الساحر على فك العمل مقابل مبلغ من المال ، وبالفعل أنجبت السيدة طفلاً أسمته معاذ ، حيث فرح زوجها به كثيراً ، إلا أنه قد ظهرت مشكلة أخرى وهى أن الجنى زنهار بن طاروخ الموكل بالعمل بدأ يعشقها . بدأت المرأة تلاحظ أشياء غريبة أثناء اليقظة والنوم أيضاً . كان الجنى تطور معه الأمر إلى أن تعدى عليها أثناء يقظتها ، وعندما وصل الأمر لذلك صارحت سارة أمها ، فذهبت إلى الساحر مرة أخرى ، حيث قال لها : إن الجن العاشق لا يمكن طرده بسهولة ، خصوصاً ذلك الجن لأنه من قبيلة ملكية . لذا فأنا لا أستطيع أن أعدك بشيء ، ولكن يمكن عمل بعض المحاولات .....

قام الطوبجي باستحضار ملك الجان عبد الله الشهير بالمذهب خالد يوم الأحد ، حيث طلب منه محاكمة الجني زنهار بن طاروخ بحجة عشقه للإنسية سارة ، وعده المذهب بتشكيل لجنة من ملوك الجان السبعة ، للنظر فى موضوع المحاكمة ، وبهذا اختفى الجني نهائياً من حياة سارة .

مايكل يوسف سلوانس / الكاتب

" الفصل الأول "

* زواج سارة :

سارة شابة جميلة جداً ، قوامها ممشوق ، عيناها خضراوان ، بيضاء البشرة ، متوسطة القامة ،وجهها ملائكي يبتسم دائماً لمن حوله ، عندما تنظر فى عينيها تنقلك لعالم آخر ، لا أعرف أن أصفه لك بالضبط ، ولكن قد تشعرك بإحساس عجيب .

توفي والدها منذ سنوات قليلة ، وكانت أمها تنفق عليها من معاش والدها ، إلى أن كبرت وتخرجت من كلية الخدمة الاجتماعية ، ثم استكملت دراساتها العليا حيث حصلت على دبلومة تربوية ، أملاً أن تصبح أخصائية اجتماعية فى إحدى المدارس التعليمية .

ذات مرة رآها أيمن وهي تشتري بعض احتياجات المنزل ، فأعجب بها وسأل عنها ، وتقدم لها ، حيث وافقت والدتها عليه ، وتمت الخطبة بكل فرح وسرور ....

واليوم هو اليوم الموعود بعد طيلة انتظار حوالى سنة ، أخيراً تم عقد قرانهما ،حيث تحقق حلم أيمن بأن يتزوج بالفتاة التى أحبها وهى تحبه ، وإن كان جوازاً تقليدياً بالطبع ، إلا أنه كان مبنياً على الحب ، ربما من أول نظرة .

أيمن : أخيراً يا حبيبتي تحقق حلمنا وأصبحنا لبعض

سارة : أنا فرحة جداً ، لأن الله استجاب لدعائي وتمم زواجنا على خير

أيمن : أشعر اليوم بأنني أسعد إنسان فى هذه الدنيا ، وأنا معك أستشعر بأنى قد ملكت العالم كله ، ولا أريد شيئاً منه سواك .

سارة : وأنا أيضاً مثلك لا أتمنى شيئا من هذه الدنيا سوى أن تبقى معي للأبد

أيمن : لقد مر شهر العسل بسرعة البرق يا سارة ، وللأسف لابد لنا أن نرجع مصر غداً ، حتى أعود لعملي .

سارة : إن الأيام الحلوة سرعان ما تختفى كالبخار . ولكنى أتمنى أن تعود ثانية .

أيمن : أكيد يا حبيبتي ، سنحاول أن نأتى إلى هنا فى العام المقبل بإذن الله ، حتى نستعيد هذه الذكريات الجميلة مرة أخري .

سافر الزوجان إلى مصر ، حيث رجعوا إلى منزلهم . وفي اليوم التالي ذهب الزوج إلى عمله ، بينما جاءت الأم نادية لكي تطمئن على ابنتها .

الأم : كيف حالك يا سارة ؟

سارة : الحمد لله أنا بخير .

الأم : حمداً لله على سلامتك ، أتمنى أن تكوني استمتعت جيداً بشهر العسل هناك

سارة : قصدك أسبوع العسل يا ماما .

الأم : هوني عليك ، أنت تعلمين جيداً ظروف عمل زوجك ، وصدقيني ليس بكثرة الأيام .

سارة : ولكن بأي ....!

الأم : بالسعادة وراحة البال .

سارة : كنت أود أن أظل هناك أكثر من ذلك

الأم : لا تحزني حتماً سيعوضها لك إن شاء الله فى فرصة أخرى .

سارة : نعم هو وعدني بأن يصطحبني إلى هناك فى السنة القادمة

الأم : إن شاء الله يا حبيبتي .

ودعتها أمها ثم مضت إلى منزلها ، ومر يومان ولم تتصل سارة بها ، فقلقت الأم عليها جداً ، وعندما اتصلت بزوجها أخبرها أنه مسافر في مأمورية عمل تبع الشركة بمدينة الإسكندرية ، فقررت الأم الذهاب إليها حتي يطمئن قلبها عليها .

*** زيارة الأم لسارة :**

الأم : كيف حالك يا حبيبتي ؟

سارة : الحمد لله يا أمى

الأم : ما بالك يا سارة ، منذ يومين لا أسمع شيئاً عنك ، وكأنه ولا حس ولا خبر .

سارة : لقد زهقت يا أمى ، حتى الدبلومة التى حصلت عليها من كلية التربية ، لا أستطيع العمل بها ، وها قد أصبح لى يومان الآن أبحث عن وظيفة أخصائية اجتماعية فى مدرسة دون جدوي ، فكل مدرسة أذهب إليها تقول لى : لقد استكفينا يا فندم ، ولا يوجد عندنا وظائف شاغرة الآن . والبعض لا يريد مقابلتي أصلا ، وآخرون يقولون لى اتركي الـ (c.v) وسنتصل بك ....

الأم : اتركيها على الله يا ابنتي ، هل تحتاجين نقوداً ؟

سارة : ونعم بالله يا ماما ، أنا لا أحتاج لنقود نشكر الله ، أيمن لا يجعلني أحتاج إلى شيء .

الأم : حسناً إذا كان الأمر كذلك ، فلما تضايقين نفسك هكذا ؟

سارة : إن الفراغ شيء سيء جداً يا أمي ، والجلوس فى البيت يخنقني كثيراً ، وظروف شغل أيمن صعبة كما تعلمين ، أحياناً يتغيب عن المنزل باليومين والثلاثة ، على حسب ما ينتهي من عمله فى البنايات ...

الأم : ربنا يعينه يا ابنتي ، ولكنى كم من مرة قلت لك امكثي معي هنا فى منزلي ، وأنت لا تسمعين لمشورتي .

سارة : لا يجوز أن أترك بيتي يا أمي . كما أنني لم أعد صغيرة مثل زمان ، لابد لى أن أتحمل المسئولية

الأم : يا ابنتي لا يوجد ضرر فى أن تظلي معي هنا طالما زوجك مسافر الآن ، وعندما يعود بالسلامة يمكنك الرجوع إلى منزلك .

سارة : هل ترين هذا يا ماما ؟

الأم : نعم يا عيون ماما ، على الأقل نستأنس بوجودنا معاً .

حضنت سارة أمها وقالت : يا حبيبتي يا ماما . وقررت أن تمكث معها إلى أن يأت زوجها من سفره .

الأم : المهم يا بنيتي ، ألا يوجد شيء آت فى الطريق .

سارة : شيء مثل ماذا يا أمي ؟

الأم : طفل يعني .

سارة : بصراحة أنا لم أفكر فى هذا الموضوع ، لقد تركتها على الله

الأم : ونعم بالله يا حبيبتي ولكن لابد أن نطمئن أيضا على صحتك

سارة : ماذا تقصدين يا أمي ؟

الأم : أقصد أن نذهب غداً للطبيب ، لنري ماذا يكون هناك .... ؟

سارة : ولكن ربما أيمن يتضايق مني بسبب تصرفي هذا .

الأم : ولماذا يتضايق إذن ؟ اتركي أيمن لشأنه وعمله . وغداً سنذهب سوياً للطبيب ، ثم نخبره بعد ذلك لاحقاً .

سارة : هل تقصدين أن نذهب بدون علمه ....!

الأم : ليس هذا ما أقصده بالضبط ، ولكن لا يوجد هناك داع الآن أن يأتي معنا للطبيب .

سارة : حسناً يا أمي ، ولكن يمكننا الاتصال به ، فهذا أقل واجب

الأم : ولكني أرى أنه ليس من الحكمة أن نخبره بشيء الآن ...

سارة : لماذا ؟

الأم : افرضي بعد الشر أنه ظهر لنا شيء ما ، وقتها ستحدث مشكلة ، عندما نسمع رأي الطبيب ، حينئذ سنخبره .

سارة : هل من الممكن أن يكون عندي مانع يا أمي ، كلامك هذا جعلني أقلق كثيراً.

الأم : الله أعلم يا ابنتي ، إن شاء الله خير ، كل شيء سيظهر فى وقته .

* الذهاب للطبيب :

فى اليوم التالي ذهبت سارة مع أمها لدكتور (د.أ) استشاري أمراض النساء والعقم فحص الدكتور فحصاً ظاهريَّاً ، ثم طلب عمل أشعة وإجراء بعض التحاليل اللازمة بالفعل توجهت سارة لمركز التحاليل والأشعة الطبي ، وأخبرهما قسم استعلامات المركز أن نتيجة التحاليل ستظهر غداً ، كانت سارة مضطربة جداً وقلقة بشأن النتائج ، وبالفعل فى اليوم التالي تسلمت النتيجة من المعمل ، وتوجهت بها إلى الدكتور كانت شغوفة جداً لسماع رأيه فى النتائج ، لأن المعمل لم يصرح لها بشيء ، تذكرت سارة قلقها الذي كان بشأن نتيجة الثانوية العامة ، نفس إحساسها الآن فالنتيجة مصيرية . أخذ الطبيب التحاليل ليطلع عليها ، وكذلك عاين الأشعة . وبعد حوالى دقيقتين ابتسم وقال : ليس هناك داع للقلق ، فنتيجة التحاليل والأشعة سليمة إن شاء الله بنسبة ١٠٠% .

سارة : يعنى يا دكتور أنا لا أحتاج لآية أدوية أو حتى مقويات ؟

الدكتور : ولا أي شيء ، حضرتك سليمة بنسبة مائة بالمائة .

سارة : حسناً إذا كان الأمر كذلك ، فلماذا لم يحدث لى حمل حتى الآن ؟!

الدكتور : العلم عند الله ، منذ متى وأنت متزوجة ؟

سارة : منذ عام تقريباً يا دكتور .

الدكتور : وهل زوجك معك أم مسافر فى الخارج ؟

سارة : هو موجود معي ولكنه أحياناً يسافر باليومين ، وذلك نظراً لظروف عمله.

الدكتور : أريدك أن لا تقلقي من شيء ، إن الموضوع مسألة وقت ليس أكثر من ذلك .

سارة : يعنى أطمئن يا دكتور

الدكتور : بالنسبة لك اطمئني على الآخر .

سارة : بالنسبة لي ...! ، ماذا تقصد ؟

الدكتور : لكي نقطع الشك باليقين ، نحتاج عمل فحوصات طبية لزوجك ، ربما يكون عنده مشكلة ما .

سارة : تفتكر يا دكتور

الدكتور : ممكن كل شيء وارد وجائز

سارة : متشكره جداً يا دكتور

الدكتور : العفو يا فندم ، شرفتينا مع السلامة .

خرجت سارة من عند الدكتور والأفكار تنتابها لا تعلم ماذا ستفعل ؟ كان يبدو على وجهها علامات الفرح والقلق فى نفس الوقت ، كانت فرحة لأنها سليمة لا تعانى من مشكلة فى الإنجاب ، بينما كانت قلقة أيضاً لأنها تخشى أن يكون أيمن هو من يعانى من ذلك . كما أنها لا تستطيع مواجهته أيضاً بهذا ، ولا تجرؤ أن تطلب منه الذهاب إلى الطبيب المعالج . احتارت سارة جداً فى الأمر ، عندما وصلت للمنزل قابلتها أمها وسألتها عن نتيجة التحاليل ورأي الدكتور ، فقصت لها كل ما حدث . ابتسمت الأم وقالت : لا تقلقي يا ابنتى فقط اتركي موضوعك على الله ثم على أنا .....

سارة بلهفة : هل ستحدثينه يا أمي ؟

الأم : نعم يا أبنتي ، عندما يرجع من السفر إن شاء الله سأكلمه .

سارة : هل ستقولين له كلام الدكتور ؟

الأم : لا بالطبع ، وإياك أن تذكري أنك ذهبت إلى الدكتور .

سارة : لماذا ؟

الأم : لأن هذا يعني أنه هو المريض ، ومهما كان فهذا رجل ، لا يحتمل على نفسه أو كرامته شيئاً مثل هذا .

سارة : حسناً ولماذا جعلتنني أذهب إذن إلى الدكتور ؟

الأم : لأنني كنت أحمل همك ، وأريد أن أطمئن عليك ، والحمد لله الذي نصفنا فى هذا .

سارة : حسناً ، ماذا سنفعل الآن ؟

الأم : لا تفعلي شيئاً ، سأتصرف أنا ، كل ما عليك فعله فقط أن تتظاهري بأنك لا تعرفين شيئاً عن هذا الموضوع .

سارة : حاضر يا ماما .

* عودة الزوج من سفره :

وبعد مرور ثلاثة أيام عادت سارة إلى منزلها ، لكى تستقبل زوجها ، حيث اتصل بها ، وأخبرها بأنه سيعود اليوم إن شاء الله .

ولما حان موعد الغروب وصل أيمن ، واستقبلته سارة استقبالا حارا بفرح وبشاشة

سارة : وحشتني يا أيمن

أيمن : وأنت أكثر يا حبيبتي

سارة : أنت لم تتصور كيف كان البيت من دونك ، وكأنه كان ظلاماً دامساً .

أيمن : لا تقولين هذا ، فالبيت منور بك يا قمري ...

سارة : هل تعلم يا زوجي الحبيب ؟ إنني استيقظت اليوم باكراً ، حتى أعد لك الطعام الذي تحبه .

أيمن : ما هذا الرضا كله ...!

سارة : صدقني يا أيمن عندما تبتعد عني أشعر بأن روحي قد انسحبت مني .

ايمن : وماذا أفعل يا حبيبتي ، أنت تعلمين جيداً ظروف عملي ، كما أنني ليس لي مكان ثابت أعمل به ، فعند انتهائي من عملي في أحد المواقع ترسلني الشركة لآخر غيره .

سارة : أتمني أن تظل بجانبي طوال العمر يا حبيبي

أيمن : ولكن يقول المثل (ابعد حبة تزداد محبة) .

سارة فى دلال : هل استطعت تحمل بعادي يا أيمن ؟

أيمن : كلا ، أنا فقط أضحك معك يا حياتي ، والله قادر أن يسهل أمورنا ، لقد قمنا برمي جميع الأساس ، وفي ظرف شهر سيقوم المبني إن شاء الله ، وسترسلني الشركة لموقع قريب من هنا ، وسأكون بجوارك طيلة العمر .

سارة : يارب تفضل معي على طول ولا يحرمني منك أبداً .

أيمن : ولا يحرمني منك يا حياتى .

تناول الزوجان الغذاء معاً ، ثم شربا الشاي كعادة المصريين ، وفى الثامنة مساء دق جرس الباب ، فقام أيمن لينظر من القادم ، وجدها حماته نادية فابتسم وقال لها ايمن : أهلا وسهلا بك يا ماما ، كيف أحوالك ؟

نادية : نشكر الله فأنا بخير ، لقد قلت أنه لابد أن أجيء إليك حتى أطمئن عليك

أيمن : طول عمرك صاحبة واجب ، فيك الخير دايماً يا ست الكل

نادية : تعيش يا بنى

وهنا جاءت سارة من المطبخ تحمل فى يديها صينية تحتوى على أنواع من الفاكهة ، ثم قالت لأمها : تفضلي يا ماما نورتينا

الأم نادية : تعيشي يا ابنتي ، أنا قلت أجيء لكي أطمئن عليكما

سارة : فيك الخير يا ماما

الأم : بقولك يا سارة

سارة : نعم يا ماما

الأم : ألا يوجد شيء قادم فى الطريق ؟

سارة : ربنا يرزقنا يا ماما .

الأم تنظر إلى أيمن : وماذا عنك يا بشمهندس ألا تنوي بعد أن تنجب لنا طفلاً ، حتى تفرحنا به ، أم أنك لا تريد أن تكبر سني وتجعلني جدة ؟!

أيمن : كيف هذا يا حماتي ، صدقيني أتمني هذا اليوم قبل غيره أن أراك جدة ، وأصير أنا أباً وسارة أماً ، ولكن ماذا نفعل في حكمة الله عز وجل ؟!

الأم : يا بني ، افعل ما عليك فعله ، واترك الباقي على الله .

أيمن : وماذا تريديني أن أفعل إذن ؟

الأم : انظر يا أيمن لقد سمعت عن طبيبة ماهرة فى هذه المسائل ، وفرصة أنك إجازة فى هذه الأيام ، فلماذا لا نذهب إليها حتى يطمئن قلبنا بعد ؟

أيمن بتلعثم : ولكن

الأم : يا بنى لا يوجد شيء في أن نطمئن عليكما ، حتى إذا كانت هناك مشكلة لا قدر الله نستطيع لحاقها . إن العمر يجري بى ، وأنا أتمني أن أرى خلفتكما قبل موتي .

سارة : بعد الشر عليك يا ماما ، ربنا يخليك لنا يا حبيبتي

أيمن : حسناً إذا كانت هذه رغبتك ، فسوف أحققها لك .

الأم : حياك الله يا ابني ، أنا أعلم علم اليقين ، أنني مهما سألتك فلن ترفض طلبي .

ايمن : ربنا وحده هو الذى يعلم مقدار معزتك عندي ، فأنا أعتبرك مكان والدتي الله يرحمها .

الأم : وأنا كذلك أعتبرك ابني الذي لم أنجبه يا أيمن .

* الكشف عند الطبيبة (م .ع) :

فى اليوم التالي توجهوا إلى الطبيبة (م . ع) حيث طلبت منهم بعض التحاليل الطبية والأشعة ثم اطلعت عليها وقالت : بالنسبة لتحاليل المدام فهي جيدة جداً ، ونسبة التبويض عالية ما شاء الله ، ولا يوجد آية مشاكل لديها .

هنا شعر أيمن بالارتباك والقلق والتوتر ثم قال للطبيبة : وهل أنا عندي مشاكل يا دكتورة ؟

نظرت الدكتورة فى التحاليل والأشعة ثم ابتسمت وقالت له : وأنت أيضاً أطمئن فنسبة الخصوبة عندك جيدة لا بأس بها .

تعجب أيمن من كلامها جداً وقال : إذا كانت هى سليمة إذن وأنا أيضا كذلك ، فلماذا لا يوجد حمل حتى الآن ؟

الطبيبة : فقط مسألة وقت ، هل يوجد مشاكل أسرية أو خلافه ؟

الأم : لا يا دكتورة الأمور مستقرة والحمد الله

ابتسمت الطبيبة وقالت : مسألة وقت كله بأمر ربنا .

أيمن : يعنى نحن لا نحتاج إلى أدوية أو أي علاج يا دكتورة ؟

الطبيبة : ولا أى شيء.

الأم : شكراً لك يا دكتورة

الطبيبة : أنا لم أفعل شيئاً يستحق الشكر ، وإن شاء الله خير .

زيارة أم باسل لأم سارة :

فى يوم ما كانت أم سارة جالسة فى الصالة ، حيث سمعت صوت جرس الباب يرن ، فقامت لترى من الطارق ، لقد ظنت أنه محصل الكهرباء أو الغاز ، إلا أنها وجدت جارتها أم باسل واقفة وتبتسم لها .....

أم سارة : تفضلي يا أم باسل ، إنها حقاً خطوة عزيزة ، لقد نورتي بيتي المتواضع

أم باسل : منور بأصحابه يا حبيبتي

أم سارة : كيف حالك ؟ وحال باسل ابنك ؟

أم باسل : الحمد الله ، ولأجل باسل أنا أتيت

أم سارة : خير إن شاء الله

أم باسل : لقد جئت اليوم لأدعوك على حفل خطوبة باسل ولدي الجمعة القادمة إن شاء الله .

أم سارة : ألف ألف مبروك ربنا يتمم له بخير

أم باسل : قادر يا كريم

أم سارة : والآن ماذا تريدين أن تشربي يا أم باسل ؟

أم باسل : ليس هناك داع لتعبك ، أنا قلت أخبرك بالموعد ، وأود أن أذهب بسرعة ، لأنه مازال أمامي الكثير من الأحباء علىَّ أن أدعوهم ، هناك أم مدحت جارتنا التى تسكن فى الأرضي ، وأيضاً أم ممدوح التي تقيم بجوارها .

أم سارة : إذا كان الأمر كذلك فأنا لا أعطلك كثيراً ، فقط يمكنك تناول القليل من العصير ، بما أنك مستعجلة ، فلا داع لعمل القهوة الآن .

أم باسل : تسلمي لي يا غالية

فتحت أم سارة الثلاجة وأخرجت دورق العصير ، وأحضرت كوبين وصبت فيهما العصير ، ثم ناولته لأم باسل وهى مبتسمة وقالت : تفضلي يا ست الكل

أم باسل : شكراً يا أميرة ، وكيف حال ابنتك سارة الآن بعد الزواج ؟

أم سارة : أمانة عليك أن تدعى لها يا أم باسل .

أم باسل : خير إن شاء الله ، ماذا بها كفاها الله الشر

أم سارة فى حزن : اليوم أتمت ثلاث سنين زواج ، ولغاية الآن لم يكرمها الله بطفل

أم باسل : ربنا يعوض عليها إن شاء الله ، وتملأ لك هذا البيت بالأولاد ...

أم سارة : يارب يسمع من فمك يا أم باسل

أم باسل : حسناً ، لا تؤاخذيني فى كلامي هذا ، لماذا لم تكشف إذن ؟!

أم سارة : لقد كشفت بالفعل مع زوجها أيضاً

أم باسل : وماذا قال الدكتور لهما ؟

أم سارة : قال كل خير ، إنها فقط مسألة وقت ، فلا توجد موانع طبية الحمد لله .

أم باسل : آه قلت لى

أم سارة : إن هذا الموضوع أحزنني كثيراً ، كما أن سارة كل يوم نفسيتها تصير سيئة عن اليوم الذي قبله ، ولا نعلم ماذا نفعل فى هذه المشكلة ؟

أم باسل : انظري من الواضح أن ابنتك دبر لها عمل بمنع الإنجاب .

أم سارة : عمل .... !

أم باسل : نعم يا أختي ، مثلما أقول لك الأمر كذلك

أم سارة : ومن مصلحته أن يؤذيها إذن ؟

أم باسل : هناك إناس تتفنن فى إيذاء الآخرين بعيد عنك ، هؤلاء نفوسهم مريضة فلا يتمنون الخير لأحد أبداً .

أم سارة : أنا أعرف أن السحر موجود ، لأنه مذكور فى كل الأديان ، ولكني لا أعلم صحة وجوده الآن ، فى عصر التقدم والتطور التكنولوجي هذا .

أم باسل : إنه موجود لغاية الآن ، لقد دبر لأبنة أختي سحر بهدف تعطيل زواجها ، كان هناك شاب سيء الأخلاق تقدم لها ، وتم رفضه من قبل أبيها ، فلما مضى قرر الانتقام منها .

أم سارة : آه

أم باسل : لقد ظلت الفتاة بدون زواج ، حتى وصل سنها نحو الثلاثين عاماً ، وكاد شبح العنوسة أن يبتلعها ، لولا مراحم الله جماعة من الناس دلونا على الشيخة صباح ، إنها تساعد لوجه الله تعالي ، فلا تأخذ مالاً من أحد .

أم سارة : لا أعلم ماذا أقول لك يا أم باسل .

أم باسل : لا تقولي شيئاً سوى إننا لابد أن نذهب لهذه الشيخة .

أم سارة فى تلعثم : ولكنى لم أذهب إلى هذه السكة من قبل ، وأسمع أنه يوجد بها نصابين كثيرين .

أم باسل : لقد جربتي الأطباء ولم يفعلوا شيئاً ، ليس أمامنا خيار سوى هذه السكة ، ولا تخافي من شيء فأنا معك ، والشيخة صباح نحن قد جربناها قبل ذلك فى موضوع أبنة أختي ، كما أنها تفك العمل لوجه الله تعالى ، حتى يكون فى ميزان حسناتها بإذن الله .

أم سارة : حقيقة لا أجد كلاماً أقوله لك سوى أن الغريق قد يتعلق بقشة .

أم باسل : والشيخة صباح هي هذه القشة ، ربنا يجعل شفاء ابنتك على يديها إن شاء الله .

أم سارة : قادر يارب على كل شيء

أم باسل : ربنا يعلم معزة سارة عندي ، فأنا أعتبرها مثل ابنتي .

أم سارة : أكثر الله من خيرك يا أم باسل ، ومن محبتك هذه .

أم باسل : حسناً يمكنك أن تحدثيها فى هذا الموضوع ، ولكن أتمنى السرعة فى هذا الأمر ، لأن الشيخة صباح يتوافد عليها أشخاص كثيرون من كل مكان وبلاد . ونحن سننتظر بعد الحجز ، لحين مجيء الدور علينا .

أم سارة : إني أشكر محبتك هذه ، وجميلك هذا لن أنساه أبداً .

أم باسل : لا يوجد جمائل بين الأحباب . إلى اللقاء يا أم سارة ...

أم سارة : مع السلامة فى رعاية الله يا أم باسل .

ولما غادرت أم باسل منزلها ، سرعان ما تناولت نادية هاتفها الجوال واتصلت بابنتها ....

الأم : ألو

سارة : ألو

الأم : كيف حالك يا سارة ؟

سارة : الحمد الله يا ماما ، وأنت ؟

الأم : الحمد الله فى نعمة يا حبيبتي ، هل أنت مشغولة اليوم أم لا ؟

سارة : خير يا ماما .

الأم : خير يا سارة ، كنت أود أن أتحدث معك قليلاً .

سارة : تفضلي يا ماما تكلمي .

الأم : لا ينفع الكلام فى التليفون ، يمكنك المجيء إلىَّ اليوم .

سارة : ماذا بك يا أمي ؟ هل أنت مجهدة أم ما الأمر بالضبط ؟!

الأم : لا يوجد شيء يا سارة فأنا بخير ، ولكن أريدك فى موضوع هام جداً

سارة : حسنا ، سأبدل ملابسي وأجيئك حالاً

الأم : أنا فى انتظارك يا ابنتي العزيزة .

أغلقت سارة الهاتف وأخذت تحدث نفسها قائلة : ماذا تريد أمى مني يا تري ؟ أتمنى أن يكون الموضوع خيراً إن شاء الله .

وصلت سارة إلى منزل أمها ، وكانت المخاوف تنتابها إلى أن فتحت لها أمها ، ورأتها سارة بوجهها البشوش وصحتها الجيدة ، فمظهرها العام يوحى بأنها على خير ما يرام .

ابتدأت سارة تهدأ قليلا ، ثم التقطت أنفاسها وقالت : خير يا أمى ، ولماذا جعلتنني آتى مسرعة إليك ؟

الأم : لقد خشيت أن يكون زوجك موجوداً ، وهذا الموضوع الذى سأحدثك فيه سري للغاية .

سارة : وما هو هذا الموضوع السري يا ماما ؟

الأم : إن أم باسل كانت اليوم معي ، حيث دعتنا إلى خطوبة ابنها ، وفى وسط الحوار سألت عليك ، فحكيت عن حالك ، فطمأنتني أنه قد يوجد الحل عندنا .

سارة : ولكنى قد يئست من جميع الأطباء ، ومللت من كثرة الكلام فى هذا الموضوع أيضاً ، كما أنني كشفت لدى العديد من الأطباء ، وجميعهم يؤكدون أننا بخير ، لقد تركتها على الله ، ولم أعد أريد الذهاب لأطباء مرة أخري .

الأم : ونعم بالله يا ابنتي ، ولكن ترى أم باسل أن أحداً ما دبر لك عملاً .

سارة : صراحة لا أفهم ما تقولين ...!

الأم : سأحاول أن أفهمك ، معنى كلامها هو أن هناك شخصاً قد أذاك يا ابنتى .

سارة : وكيف أذاني يا أمي ؟!

الأم : قام بتأخير موضوع إنجابك هذا ، حتى ينغص عليك حياتك ، وتسود المشاكل بينكما أنت وزوجك .

سارة : ما الذي تقولينه هذا يا أمي ، وكيف يحدث ذلك أصلاً ؟

الأم : حسناً ، ما هو تفسيرك للذى يحدث لك هذا ؟!

سارة : حقيقة لا أعلم ، ومثلما قال الأطباء لى : فقط مسألة وقت .

الأم : أين هو الوقت ؟! إن السنين تمر سريعاً ، ولا يوجد آية مؤشرات للحمل ، وأنا أخشى أن أموت قبل ما أرى أولادك .

سارة : بعد الشر يا ماما ، لا تقولي هذا مرة أخري ، وأرجوك أن لا تذكري سيرة الموت هكذا .

الأم : الموت علينا حق يا ابنتي ، كما أنك تكبرين أيضاً ، والحمل والولادة فى الكبر يصبحان خطراً ، وليس مضموناً بالمرة .

سارة : وماذا أفعل والله لا يريد ؟

الأم : إن شاء الله يريد ربنا ، ويعوض عليك بأولاد صالحين تفرحين بهم .

سارة : يارب يا ماما نفسى أسمع خبراً حلواً يفرحني في حياتى ، فإذا لم يرزقني الله بعمل ، فأتمني أن يرزقني بطفل ، وكلما أتحدث مع أيمن بشأن هذا الموضوع يقول لى : الله الذى يقول كن فيكون ، لم يأمر بعد .

الأم : ونعم بالله يا ابنتي ، ولكن عندما ابتلانا الله بالوباء ، أنزل معه الدواء أيضاً

سارة : ماذا تريديني أن أفعل يا أمي ؟

الأم : سنذهب سوياً مع أم باسل للشيخة صباح ، وهي التى ستخلصك من هذه المشكلة .

سارة : ما هذا الكلام يا أمي ؟! ، أليس بقى لنا غير أن نذهب لهؤلاء الدجالين ؟! وإذا عرف أيمن ستحدث مشكلة كبيرة جداً ، لا يعلم عواقبها غير الله ....

الأم : ومن الذي يقول له يا ابنتي ؟

سارة : يعنى سأخرج من ورائه يا أمي .

الأم : لا تفتعلي مشكلة من لا شيء ، فقط قولي له : أنك تشعرين بزهق وستقضين هذا اليوم معي .

سارة : وافرضي أنه انتهي من عمله سريعاً ، وقرر أن يجيء إليَّ حتى يأخذني ، ولم يجدني هنا ، فما هو العمل وقتها إذن ؟

الأم : أتركيني أتصرف معه يا سارة فى هذا الموضوع .

سارة : لأجل خاطري يا أمي ، أنا لا أريد الذهاب لهذه الشيخة ، إني أخاف من السحر وهؤلاء المشعوذين ...

الأم : يا ابنتي هذه سيدة تقية تعرف الله وتخشاه ، وليست ساحرة ولا دجالة أو حتى مشعوذة .

سارة : ومن الذى أعلمك بهذا ؟! جميعهم يقولون نفس الكلام ، وفى آخر المطاف نكتشف أنهم نصابون بلا استثناء .

الأم : ليس هناك نصب أو خلافة ، فهذه السيدة لا تأخذ أجرة على عملها الطيب هذا ، وإنما تعمله لوجه الله تعالى . نحن سنذهب إليها لكي يطمئن قلبنا ونعرف رأسنا من أرجلنا ....

سارة : لا أعلم ماذا أقول لك ؟!

الأم : لا تقولي شيئاً يا ابنتي ، فقط العبد فى التفكير والرب فى التدبير .

وبعد مرور حوالى أسبوع اتصلت أم باسل بنادية وقالت لها : إنها ذهبت للشيخة صباح ، وقد حجزت لها موعداً آخر يوم خميس من الشهر القادم بإذن الله .

أم سارة : سنظل شهراً حتى نقابلها ، يا لها من فترة طويلة حقاً ...

أم باسل : احمدي ربنا يا حبيبتي هناك إناس تظل سنة كاملة حتى يستطيعوا مقابلتها.

أم سارة : يا خبر سنة ....!

أم باسل : نعم ، وماذا كنت تعتقدين ؟

أم سارة : أنا شاكرة أفضالك ، ولا أجد كلاماً أقوله لك ، ومعروفك هذا فى رقبتي ..

أم باسل : لا يوجد بين الخيرين حساب ، ونحن جيران وسارة مثل ابنتي .

وبعد مرور حوالى شهر ، جاء اليوم المحدد المتفق عليه ، حيث استأذنت سارة من زوجها أيمن فى أن تقضي اليوم مع أمها نادية ، لأنها تشعر ببعض الملل . استغرب أيمن من طلبها هذا ، إلا أنه وافقها ، حيث قال فى نفسه : ليس هناك أي داعى فى رفضي لطلبها ، فهي تجلس بمفردها طوال النهار بين أربعة جدران .

قال أيمن : أبلغي سلامى لماما ، وإن شاء الله سأحاول إنهاء عملى سريعاً ، وسأمر عليك هناك .

سارة : لا تتعب نفسك يا حبيبي ، سأركب مواصلات من هناك إن شاء الله . ذهب أيمن إلى عمله ، بينما هى قامت مسرعة إلى والدتها ، والتي كانت تنتظرها كأحر من الجمر ، ثم توجها معاً لأم باسل وذهب الثلاثة إلى الشيخة صباح ....

" الفصل الثاني "

* الشيخة صباح :

كانت الشيخة تسكن فى فيلا كبيرة مكونة من طابقين ، وللفيلا حديقة كبيرة ، فى الطابق السفلى يجلس السكرتير على مكتب ، حيث يسجل الأسماء ويتلقى المكالمات الهاتفية من الخط الأرضي . إن الموضوع أشبه ما يكون بعيادة دكتور . فالمكان كان مجهزاً بالعديد من المراوح والأرايك العربية الكثيرة جداً . هناك زحام شديد ، الكل يجلس فى قاعة الانتظار ، البعض يسأل السكرتير عن موعد دخوله للشيخة ؟ ، آخرون يتحدثون مع بعضهم . وهناك مكبرات صوت تعرض تسجيلاً لسورة البقرة بصوت الشيخ ماهر المعيقلي . وعندما كانت تنتهى السورة تعاد من جديد ....

كان هناك بخور عطر على ما أعتقد اسمه بخور جاوى ، وهو من أجود أنواع البخور عند العطارين . على الحائط كانت توجد براويز زجاج معلق عليها آية الكرسي ، وأخرى تحتوي على المعوذتين ، وأخرى تحتوى على أجزاء من سورة البقرة .

إن الأمر يوحى بأن هذه الشيخة تعالج بالقرآن الكريم ، ولا دخل لها بسكة السحر أبداً . أطمئن قلب الأم وسارة أيضا ، حينما رَأ هذا الجو الديني ...

ابتسمت أم باسل وقالت لأم سارة : ألم أقل لك يا أم سارة إنني لم أأت بك لمكان لا قدر الله به شيء ما ، لقد أتيت عند شيخة ممتلئة بالبركات ولها العديد من الكرامات وتعالج لوجه الله تعالي .

نظرت الأم لسارة ثم قالت : أرأيت وتأكدت بنفسك أن السيدة ليست بدجالة ...

سارة : حسناً يا أمي لم تكن كلمة قد قلتها لك فى لحظة غضب .

مرت ساعة تلو الأخرى ، ولم يحدث شيء ، ومازال الناس يتوافدون من كل مكان داخل الجمهورية وخارجها أيضا ..... !

الكل يطمع فى مقابلة الشيخة صباح للتبرك منها ، والبعض يريد أن تبارك تجارته حتى تربح ، وآخرون يجيئون لتزويج بناتهم ، وآخرون يأتون لفك رباط أزواجهم ، وأخرون لعمل تحصين لهم ضد الحسد والعين والمس . كل واحد منهم بهدف غير الآخر . الكل مجتمعون داخل هذه القاعة الكبيرة .

ابتدأت سارة تقلق وقالت لأمها : نحن هنا منذ حوالى ساعتين على هذا الوضع ، ولا يوجد شيء حدث حتى الآن ، وإنني أخشي أن يضيع اليوم هباء ، دون مقابلة الشيخة ، أو أن زوجي يعود ولا يجدني هناك ، وتحدث مشكلة بسبب هذا .

الأم : لا تقلقي يا ابنتي سوف أتصرف ، نظرت لأم باسل ثم أعطتها ورقة بفئة مئتي جنيه وقالت لها : معذرة يا أم باسل ، من فضلك تحدثي لهذا السكرتير ....

أم باسل : أوامرك يا أم سارة ، ثم ذهبت إليه وأعطته الورقة النقدية ، فى خفة يد دون أن يلاحظها أحد ، وقالت له : هل يوجد أمامنا الكثير من الأشخاص ؟

السكرتير : لا أبداً ، عندما تخرج الحالة التى فى الداخل ، ستدخلين فور خروجها .

وبعد حوالى نصف ساعة خرجت سيدة مع زوجها ، فنادى السكرتير على أم باسل ودعاها للدخول للشيخة . فسألته عن الطريق . فأجابها : اصعدي من هذا الدرج الذى أمامك وستلتقين بها .

فصعدن معاً حتى وصلن للطابق الثاني ، كان الطابق شبه فارغ فلا يحتوي على شيء سوى سجادة متواضعة ، تجلس عليها سيدة فى العقد الرابع من عمرها ، ممسكة بيدها سبحة ، مرتدية عباءة سوداء من الطراز الإسلامي (إسدال) وطرحة بيضاء على رأسها ، كانت الشيخة متوسطة القامة ، لها بشرة قاتمة ، وجسمها بدين بعض الشيء ، كان موضوع أمامها مباشرة على الأرض زجاجات مياه معدنية كثيرة ، كانت مرصوصة بجوار بعضهما . يوجد أيضاً (مبخرة) مصنوعة من الفخار، تحتوى على فحم ويتصاعد منها رائحة بخور تتطاير فى كل مكان ، غير أن رائحة البخور هذه كانت مختلفة تماماً عن الأخرى التى استنشقناها فى الطابق السفلى . نظرت الشيخة إليهم نظرت توحى بالثقة والثبات ثم سألتهم قائلة : ما طلبكم ؟

أم باسل : إننا نعشم فى كرماتك يا ستنا الشيخة ، ولا نريد شيئاً منك سوي أنك تحلين مشكلة ابنتنا سارة .

الشيخة صباح : نحن عبيده والأمر بأيده

أم سارة : ونعم بالله أنا ابنتي متأخرة عن الإنجاب لحوالي ثلاث سنين ، وذهبنا بها لجميع الأطباء دون جدوى ، وعشمنا فى ربنا وفيك كبير جداً .

الشيخة : العشم والاتكال على الله وليس على البشر ، وأنا سبب لكن هو المسبب ....

أم باسل : ونعم بالله .

نظرت الشيخة إلى سارة ثم مدت يدها لها فظنت سارة أنها تريد مصافحتها ، فمدت لها يدها هى الأخرى بدورها ، إلا أنها تفاجأت بأن الشيخة قبضت علي يديها بشدة وأخذت تتلو هذا القسم الروحاني :

بسم الله ولا غالب يغلب على أمر الله ، أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله الذى رفع السماء بغير عمد (٢) وخضعت الجبابرة بقدرته وسلطانه .

أقسمت عليكم جميعاً بالعزة والجبروت والعظمة والملكوت ، وبكل كتاب أنزل وبكل نبي مكرم بحق إنه من سليمان ، وأنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا علىَّ وأتوني مسلمين (٣)

مسالمين خاضعين طائعين لله رب العالمين . أقسمت عليكم بحق من أنطق الجن لسليمان ، يا الله إنى أدعوك باسمك الأعظم وباسمك الواحد الأعز وباسمك العظيم وباسمك الكبير وباسمك المتعال . أقسمت عليكم أن يظهر اسم الله الأعظم الآن ....

وهنا غابت سارة عن الوعى فقلقت عليها أمها ، وتعجبت أم باسل من هول الموقف ، ثم تمتمت الشيخة بكلام غير مفهوم ونفخت في وجه سارة ، فقامت وعادت إلى وعيها .

قالت الشيخة لأم سارة : للأسف بنتكم معمول لها سحر بتعطيل الخلفة .

أم سارة : لقد كنت أشعر أن هناك من ضرها ، فتعطيل إنجابها أمر غير طبيعي .

الشيخة : إن علاج أبنتكم للأسف غير موجود عندي

أم سارة فى حسرة : لماذا تقولين لنا هكذا ؟ هل أحزناك فى شيء ؟!

أم باسل : نحن نعشم فيك خير ، لماذا تكسفينا هكذا ؟

الشيخة : أنا لم أقصد أن أحزنكم ، لكن كل ما بوسعي عمله لك هو الرقية الشرعية ، ولكنني أظن أنها لا تنفع في مثل حالة ابنتك هذه ....

أم سارة : وما العمل إذن يا شيخة ؟

الشيخة : العمل عند الله ، لا يجوز لى أن أصرح لك باسم شخص معين ، ربما يكون غير صالح ، ويكون ذنب ابنتك هذا فى رقبتي ، لقد انتهت مهمتي إلى هنا .

ثم مدت الشيخة يدها تناولت زجاجة من الزجاجات التى كانت أمامها ، وقالت لسارة خذي هذا الماء يا ابنتي ، أنه مقروء عليه الرقية الشرعية ، عليك بشرابه كل يوم قبل نومك ، على أن تكوني دائماً طاهرة ...

سارة : وهل هذا الماء سيفك العمل ؟

الشيخة : إن هذا الماء يجعلك محصنة ضد أي أعمال سحر أخري ، أنت الآن مثل الجرح المكشوف ، فمن السهل أن يدخله أي بكتريا أو ميكروبات . ولأجل هذا لابد من التحصين . وإذا كنت محصنة منذ بداية الأمر ، لما كان هذا السحر أثر فيك مطلقاً . على أن تصومي كل يوم اثنين وخميس من كل أسبوع ، وتتمسكي دائماً بقراءة سورة البقرة .

أم باسل : نشكرك يا شيخة على ما فعلتيه معنا ، بارك الله فيك .

الشيخة : كنت أتمني أن أساعدكم وأحل مشكلتكم هذه ، ولكن ما باليد حيلة ...

أم سارة : يكفي أننا قد رأيناك ، وبالله عليك أن تدعي لسارة .

الشيخة : الله معكم ، ويسهل أموركم دائماً...

انصرف الجميع من عند الشيخة صباح ، وعندما نزلوا الدرج قابلهم السكرتير وقال لأم باسل : إن شاء الله يكون خيراً .

أم باسل : الظاهر إنه لا يوجد خير .

السكرتير : لماذا تقولين هكذا ؟

أم باسل : إن ابنتي قد سحر لها ، ولكن الشيخة لا تقدر على فك هذا النوع من السحر ، تقول : إن السحر قد تملك منها ....

السكرتير : عجيبة هذا الكلام أول مرة أسمعه من أحد ، إن الشيخة صباح لها القدرة على فك أي أعمال ، فكيف قالت لكم هذا ؟! هل ضايقتموها فى شيء ما ؟

أم سارة : لا والله أبداً ما حدث شيء بيننا ، بل أننا طيلة الجلسة كنا صامتين .

السكرتير : عامة حصل خير ، وفرصة سعيدة .

أم باسل : ألا تعرف أحداً يخلصنا من هذا الداء ، ويكون لك الشكر ؟

السكرتير فى تلعثم : إن الشيخة تحرج على أن أتحدث فى مثل هذه المواضيع ، كما أنها لو عرفت أني قد قلت لكم شيئاً ، فحتماً لن ترحمني ...

أم سارة : ومن الذى يقول لها يا ابني ، أنت تصنع خيراً معنا ، ونحن ليس لنا سوى ربنا ، ولا نعلم لمن نذهب ولمن نجيء ؟!

السكرتير : وهل يوجد ضامن لكلامكما هذا ؟

أم باسل : وما مصلحتنا فى أذيتك يا بني ؟ ، هل لأجل أنك تعمل خير معنا نرده لك شراً ، هل هذا يعقل ؟!

ثم ناولته ورقة بفئة مائتي جنيه أيضاً . نظر السكرتير للورقة وأخذها فى خفة يد ، وأخذ نفساً عميقاً ثم قال : هناك رجل فى قرية قريبة من هنا يسمى (الطوبجي) يمكنكم الذهاب إليه الآن ، إلا أن هذا الرجل يأخذ مقابلاً ماديًّا ، وليس كالشيخة صباح يعمل لوجه الله ...

أم سارة : إن المال لا يهم عندي ، فالذي يهمني هو حل مشكلة ابنتي ...

أم باسل : وكيف نصل لهذا الرجل ؟

السكرتير : الموضوع بسيط ، يمكنك أخذ سيارة أجرة من هنا ، وأخبري السائق بأنك تريدين الذهاب لقرية (ميت العبد) وهناك اسألى على منزل (الطوبجي)

أم باسل : شكراً جزيلاً لك يا بني ، وإذا الله أكرمها فنحن لن ننساك .

السكرتير : يا مسهل ، ولن أوصيك مرة أخري أن لا تبوحي بأي كلمة مع أحد .

أم باسل : اطمئن فسرك فى بئر .

* الطوبجي الساحر :

توجه الجميع إلى قرية ميت العبد ، وهناك التقوا بالطوبجي وكان منزله من الطوب الأحمر غير مشطب ، وكان المنزل بسيطاً ومتواضعاً عبارة عن دور واحد فقط . طرقوا باب المنزل ، فخرج رجل فى العقد الخامس من عمره وكان أشعث الشعر مربى لحيته ، حيث كانت تصل إلى بطنه ، وكان مكحل العينين ولون شعره بنيًّا قاتماً ، بينما لون بشرته كان أسمر، ورفيع البدن وطويل القامة مرتدياً جلباباً أبيض. ثم قال لهم تفضلوا بالدخول ، فجلسوا على أريكة من التراث العربي . ثم قالوا له من فضلك نريد الشيخ الطوبجي .

قال الرجل : إنى أنا هو .

فتعجبوا من ذلك كثيراً ، وبينما هم مندهشون قال لهم : أنتم جئتم إلىَّ حتى أعينكم على فك سحر ابنتكم سارة .

أم باسل : بركاتك يا سيدنا ، إننا فعلاً لهذا الأمر أتينا .

أم سارة : إن أولاد الحلال قد دلونا عليك ، ونحن تحت أمرك .

الطوبجي : الأمر لله ، حسناً سوف آخذ منكم عشرة آلاف جنيه .

أم سارة : ولكن هذا المبلغ كثير جداً يا شيخ .

الطوبجي : يقول المثل (اللى معهوش ما يلزموش) ، وأود أن أقول لك شيئاً آخر ، اعتبري أن هذه النقود ذهبت للدكتور ، مقابل عملية حقن مجهري أو طفل أنابيب ، إنني أوفر عليك تعب ابنتك ، ومحاولات الأطباء الفاشلة في علاجها هذا ، كما أنه لا يوجد فى هذا الزمن سعر عملية بهذا المبلغ الزهيد ، وأريد أن أقول لك شيئاً آخر

أم سارة : تفضل

الطوبجي : أنا لا آخذ نقوداً مقدماً ، إن شاء الله عندما يتم المراد ستحضرين المبلغ لى كاملاً .

أم سارة : حسناً اتفقنا يا شيخ ، متي سنبدأ العلاج إن شاء الله ؟

الطوبجي : قبل بدأ العلاج أؤكد عليك كلامي ، عندما يتم المراد لابد من إعطائي حقي ، مثلما أخذتي حقك أيضاً . وإذا فكرتي أن تخدعيني سأنتقم من ابنتك ومن الذى في بطنها . وقتها ستأتين إلىَّ ولكني لا أستطيع فعل شيء ، فلا تجبريني على فعل أشياء ، أنا غير راغب بفعلها .

أم سارة : صدقني يا شيخ إننا لا نستطيع فعل أي شيء معك ، وإذا لم تكن مطمئناً لنا فيمكنك أخذ نصف المبلغ مقدماً ، وعندما يتم الموضوع ، فلك عندي مثلهم .

وأخرجت النقود من حقيبتها وأعطتها للطوبجي ، إلا أنه قال فى غضب : خذي نقودك من أمامي ، أنا كلامي واحد ومبدئي كذلك ، ولا أغيره لأجل أحد ...

أم باسل : سامحنا يا شيخ نحن لا نقصد أن نزعلك ، وأم سارة نيتها خير ، والله ما تقصد شيئاً أبداً .

الطوبجى : حصل خير ، سأعتبر إنه لم يصدر منكم شىء ، ثم نظر إلى سارة وقال : هل ترين هذا الغرفة التى فى الأمام ؟

سارة : نعم

الطوبجي : اذهبي إليها وافتحي بابها ، ستجدين أمامك تمراً موضوعاً على صينية ، تناولي تمرة وكُليها ، ولا تلقي النواه بل أمسكيها في يدك اليسرى ، وأطبقي عليها كف يدك جيداً ، وأغمضي عينيك ، وقولي بعدها (راميس) ثلاث مرات . ثم تعال لنا وقصي علينا ماذا حدث معك ؟

دخلت سارة وفعلت مثلما أمرها الطوبجى ثم قالت له : رأيت رجلاً يحاول الاقتراب منى ، ويحاول أن يحدثني فى أذني اليسار ، ولكنه عندما اقترب منى خاف جداً . ثم انصرف . وقد تكرر هذا المشهد ثلاث مرات .

سألها الطوبجى : هل كان هذا الرجل قصير القامة ؟

قالت سارة : أجل

الطوبجي : هل كان له لحية خفيفة ؟

سارة : نعم

الطوبجى : هل كان يرتدي ملابس كالبحارة القدامى ؟

قالت سارة فى ذهول : نعم وكأنك كنت تراه معي ....!

الطوبجى بانفعال : أنا أعالج بالسحر وليس بالقرآن ، قولي لي هل ذهبت عند أحد المشايخ ؟

ارتبكت سارة ونظرت لأمها . قالت الأم : فى الحقيقة ذهبنا عند الشيخة صباح .

تضايق الطوبجى جداً وقال فى غضب : إن صباح لا تصلح لفك هذه الأعمال السفلية ، وإذا كنتم حقاً تنوون أن تستمروا معي ، لابد أن تنسوا كل ما قالته لكم ، كما لابد من التخلص من الماء الذي معكم .

تعجبت أم سارة جداً من معرفة الطوبجي بأنهم يحملون زجاجة مياه من الشيخة صباح ، رغم أن الزجاجة كانت داخل شنطة اليد التى كانت تحملها .

الطوبجى : أنت تستغربين من معرفتي بأن معكم مياه مقروءاً عليها ، ولم تستغربي أني عرفت اسم ابنتك ومشكلتها من غير ما تتكلمون معي ....!

المهم إذا قررتم أن تستمروا معي ، فلابد من تسمعوا كلامي

أم سارة : تحت أمرك يا شيخ

الطوبجى : أعطيني الزجاجة التي معك هذه ...

وهنا تخرج أم سارة الزجاجة من حقيبتها وتناولها له ، فرفض أن يمسكها بيده ، ولكنه طلب من سارة أن تبعد مسافة حوالى ثلاثة أمتار عن المنزل ، ثم تسكب الماء فى شجرة كبيرة . ففعلت سارة كل ما أمر به ذلك الرجل . ثم طلب منها بعد ذلك أن تتناول تمرة أخري ، وعاد وطرح عليها الأسئلة من جديد ، إلا إنها كانت تعطي أيضاً نفس الإجابات ، فبدأ الطوبجى يتعصب جداً ويقول لها : اخرجي خارج منزلي ، أنت تضيعين وقتي هباء ....

تتعجب سارة من كلامه هذا ، ولم تجد ما ترد به عليه ...

أم سارة : حقك علينا يا شيخ ، ولكن ما ذنبنا حتي تطردنا هكذا ؟

الطوبجي : إن الذنب ذنب ابنتك هذه ، لقد شربت من المياه المقروء عليها .

أم سارة : إن الشيخة أعطتنا الزجاجة ، ولكننا لم نشرب منها شيئاً .

الطوبجى : أنا أعلم جيداً ماذا أقول لكم ...

سارة : صراحة يا أمي لقد عطشت وشربت منها

أم سارة فى ذهول : متى شربت وأنا معك طوال الطريق ؟ وكيف عرفت يا شيخ ؟

الطوبجى : إن جساسي لم يتمكن من الوصول لقرينها بسبب هذه المياه .

أم سارة : وما العمل إذن ؟

الطوبجي : إن مفعول هذا الماء يظل بجسم الإنسان لمدة أربعين يوماً بالتمام ، فعندما تنتهي هذه المدة ، حينئذ يمكنكم زيارتي هنا ، ولكن قبل هذا لن أتمكن من عمل شيء لكم .وهناك ثمة شيء آخر أود أن أحدثكم عنه ، ينبغي نسيان كل ما قالته لكم هذه الشيخة ، وخصوصاً التزامكم بسورة البقرة والمعوذتين وآية الكرسي ...

سارة : لماذا ؟

الطوبجى : من غير ماذا ؟ لأن هذا يعطل علاجك كثيراً ، ونصيحتي أن تلتزمى بكلامي وتطيعينه إذا أردت أن تشفي .

أم سارة : نعدك أننا سنلتزم بكلامك يا شيخ

الطوبجي : والآن يمكنكم الانصراف ....

خرجت الأم مع سارة وأم باسل فى حالة من الصمت والزعر والهلع والخوف لما سمعوه ورأوه . ولم يجرؤ أحد منهم على أن يتفوه بكلمة واحدة إلى أن عادوا إلى المنزل ، وبعد حوالى دقائق قليلة طرق الباب فقامت سارة لتفتح ، فوجدته أيمن زوجها ، فدخل وسلم على والدتها ، ثم أخذ زوجته سارة ومضى إلى شقته ....

أيمن : ما بالك يا سارة منذ أن جئنا منزلنا ، وأنت لا تتحدثين بكلمة واحدة ؟!

سارة : أبداً يا أيمن إنني مرهقة بعض الشيء .

أيمن : ألف سلامة عليك يا حبيبتي ، هل مازال الصداع النصفي يتكرر أيضاً ؟

سارة : نعم

أيمن : هل تودين الذهاب إلي الطبيب يا سارة ؟

سارة : أنت تعلم جيداً إنني لا أحب الذهاب إلى الأطباء مطلقاً .

أيمن : إن الصداع أصبح عندك بشكل يومي ، وأنا أخشي عليك أن يتحول لا قدر الله لمرض مزمن ، عندما نكتشف المرض فى أول الأمر ، يكون علاجه أيسر وأسهل .....

سارة : لا تعط للموضوع أكبر من حجمه يا أيمن ، قلت لك إنه مجرد إرهاق فقط .

أيمن : أنا أحبك جداً يا سارة ، ولا أتحمل أن أراك مريضة تتعذبين أمامي ، وأنا عاجز عن فعل شيء لك .

سارة : يا حبيبي يا أيمن ربنا يخليك لي ، ولا يحرمك مني أبداً .

ايمن : ويخليك لي يا حبيبتي ويشفي عنك يارب

في صباح اليوم التالي ذهب أيمن كعادته إلى عمله ، بينما سارة كانت قلقة طوال الليل ، حيث كانت تراجع شريط أحداث يوم أمس ، وأخذت الأسئلة الكثيرة تخطر على بالها ، ولكنها لم تجد إجابة لها ، فتناولت الهاتف من جوارها حيث كان موضوع على (الكومود) ورنت على أمها ....

الأم : ألو

سارة : ألو

الأم : صباح الخير يا ابنتي

سارة : صباح النور يا ماما .

الأم : ما الذى جعلك تستيقظين في الصباح الباكر هكذا ، إنها ليست عادتك .....!

سارة : قصدك أن تقولي لماذا لم تنامي منذ البارحة ؟

الأم : يا خبر يا ابنتي ، كيف لم تنامى منذ ليلة أمس ، هل تنتقمين من نفسك ؟

سارة : غصب عني يا ماما ، سأموت من كثرة التفكير ، دماغي ستنفجر ....

الأم : بعد الشر عليك يا حبيبتي

سارة : أنا لا أعلم أن الذي نفعله هذا صح أم خطأ يا أمي ؟ لقد ذهبنا عند السحرة والشيوخ من دون علم أيمن . كما أن الطوبجي هذا طلبه غريب جداً ، كيف يمنعنا من الصلاة والقراءة في القرآن ، أنا لا أستطيع عمل هذا .....

الأم : إن الغاية قد تبرر الوسيلة

سارة : ماذا يعني كلامك ؟

أم سارة : يعني أننا لابد أن نسمع كلامه ، حتي تحل مشكلتك ....

سارة : ولكن يا أمي أن هذا الرجل يعالج بالسحر ، وليس بالقرآن ، والسحر محرم فى كل الأديان ....

أم سارة : لا يوجد لنا مجال الآن لمناقشة الحلال والحرام ، فنحن لسنا دار إفتاء ، كما قولي لي الذي نحن فيه الآن أليس حراماً . والذي كان سبباً في عدم إنجابك حتي الآن أليس حراماً ؟

سارة : إنني لا أريد أن أفعل شيئاً يغضب ربنا .

أم سارة : إن الله غفور رحيم ، ونحن ذهبنا إلي العديد من الأطباء ، وذهبنا إلى الشيوخ ، ماذا نفعل أكثر من هذا يا ابنتي ؟

سارة : ولكنني غير مرتاحة لهذا الموضوع مطلقاً ، ولا أريد أن أستمر .

الأم : ماذا تقولين يا سارة ، لا تؤذي نفسك ، لقد اتفقنا مع الرجل ، لم يكن اتفاق أطفال ، كما أن الرجل حذرنا إذا لم نرجع إليه مرة أخري سينتقم منك ...

سارة : قصدك إننا بهذا قد تورطنا معه الآن ...!

الأم : وهل يوجد عندك حل آخر ؟

سارة : لا ، ولكني خائفة من أن يعرف زوجي ، ربما يطلقني بسبب فعلي هذا

الأم : ومن الذى سيقول له ؟

سارة : كنت أتمني أن تحل مشكلتي بعيداً عن هذا الساحر

الأم : يا بنيتي ربنا يهديك اسمعي كلامي ، اجعلي موضوعك يمر بسلام .

سارة : ولكني غير مطمئنة بالمرة ، وأخشي أن يفعل بي شيئاً ما .....

الأم : لا تخافي من شيء ، فأنا معك يا سارة .

سارة : ربنا يخليك لي يا أمي

الأم : ويخليك لي يا حبيبتي ، وأرى أولادك يا بنيتي .

سارة : يارب يا ماما .

*** جساس الطوبجي :**

بعد مرور أربعين يوماً جاءوا أخيراً إلى الطوبجي ، والذى قال لهم : كنت واثقاً أنكم ستعودون ، أتمنى أنكم التزمتم بكلامي حتى لا يضيع وقتي مثل المرة السابقة ...

أم باسل : لقد نفذنا كل ما أمرتنا به ، جميع كلامك أوامر ، إنه كالسيف يصير على رقاب الكل .

نظر الطوبجى إلى سارة وأشار بيده إلى الغرفة إياها ، فتوجهت إليها وفعلت مثل المرة السابقة ، وهنا رأت ذلك الرجل يقترب منها ويحدثها في أذنها ويقول : سارة سارة هل تسمعيني ؟

أجابت سارة : نعم أسمعك بوضوح .

الرجل : لقد تم سحرك من قبل ساحر شرير ، وكان نوع السحر سفليًّا

سارة : حقيقة لا أفهم ما تقول ..... !

الرجل : لا داعي أن تفهمي ، فقط أبلغي الطوبجي بما قلته لك ....

سارة : ولكن من حقي أن أفهم ما يحدث لى . وهنا اختفى الرجل من أمامها ، وكأنه تبخر مثل الماء . أخذت تبحث عنه فى كل مكان حولها ، ولكنها لم تجده فى الغرفة وكانت المفاجئة أنها لما فتحت عينيها وجدت نفسها بين أمها وأختها فى الصالة والطوبجي ينظر إليها .

استيقظت سارة من غفلتها وتساءلت قائلة : أين أنا ؟ ، ومن الذي جاء بي إلى هنا ، لقد كنت فى داخل الغرفة ، فكيف أتيت إلى هنا ؟

تعجبت سارة من ذلك جداً ، فهي لم تشعر بأنها تحركت وجاءت هنا وحدها .

وبينما هى مندهشة تحاول أن تستوعب ما يحدث لها ، سألها الطوبجي : عن ماذا قال لها الرجل ؟

قالت سارة : كلمني كلام غير مفهوم

الطوبجي : كيف هذا ، إن الجساس يتحدث أكثر من سبعين لغة ، فكيف تقولين أنت ذلك ؟

سارة : لقد حدثني بالعربية ، ولكنني لم أفهم شيئاً ....!

الطوبجي : إذن أبلغيني بما قاله لك بالضبط .

سارة : قال لى : إنه تم سحري بواسطة ساحر شرير ، وكان السحر سفليًّا

الطوبجي : هل قال لك شيئاً آخر ؟

سارة : كان يحاول أن يكلمني ، ولكنى لم أفهم شيئاً فتركني ومضي .

الطوبجي بغضب : ولماذا تركتيه يمضي ؟

سارة بخوف : صدقني لقد حاولت البحث عنه فى كل مكان فى الغرفة ، ولكنه اختفى فجأة كالوميض .

الطوبجي : إذا كان السحر سفليا ، فهو خارج جسدك إذن

سارة : تبدو عليها علامات البلاهة

الطوبجي : غالبا ما سيكون في المقابر .

أم سارة : وكيف نستطيع إزالته يا شيخ ؟

الطوبجي : المشكلة أن ابنتك لم تستطع الحصول على معلومات أخري ، وهذا الجساس لكي يحضر مرة أخري ، فيستغرق الأمر حوالي أربعين يوماً آخرين .

أم سارة : في عرضك يا سيدنا ، نحن هنا من دون علم زوجها ، ونريد أن ننتهي من هذا الموضوع اليوم إن شاء الله ....

الطوبجي : ممكن الموضوع ينتهي ، ولكن قد توجد أمامنا مشكلة .

أم باسل : خير ربنا قادر أن يبعد عنا المشاكل .

الطوبجي : أحتاج إلى ديك لونه أسود ، بشوشة حمراء ، وللأسف هو غير موجود عندي حالياً ....

أم باسل : لا بأس سنحضر لك بدل الديك اثنين .

الطوبجي : لا أنا أريد ديكاً واحداً ، يمكنك الذهاب إلى البائع الذي خلف منزلي ، إذا استطعت شراء ديك من عنده بهذه المواصفات ، فقط تكون المشكلة قد حلت .

أم باسل : إن شاء الله سأجد عنده

أم سارة : معذرة سنتعبك معنا يا أم باسل ، ثم ناولتها ورقة بفئة ٢٠٠ جنية

أم باسل : ما هذا ؟

أم سارة : هذا شيء بسيط ، لأجل محاسبة البائع

أم باسل : حسناً ، انتظرنني حتي أسأله هل يوجد عنده ديك بهذه المواصفات أم لا ؟

أم سارة : إن شاء الله ستجدين عنده .

ذهبت أم باسل للرجل البائع ، ووجدت عنده الديك بنفس المواصفات المطلوبة . سألته عن ثمنه قال لها مائة جنيها ، فاشترته منه وأحضرته للطوبجي . والذي قام بدوره بأخذ الديك منها ثم ذهب إلى غرفة أخرى ونادي على سارة لتدخل هذه الغرفة . دخلت سارة لتنظر الغرفة لتجد عظام حيوانات وجلود نمور وفراء معلقين على الحائط ، وأوراق غريبة مثل البرديات ، وبعض الجماجم والهياكل العظمية ، فزعت سارة جداً من شدة ما رأت ، وأصدرت صرخة عالية . فجاءت الأم مسرعة إليها .

الطوبجي : أسكتي ابنتك هذه حتى لا تفسد علىَّ ما أنا فاعله .

الأم : أهدئي يا سارة ، لا تخافي فأنني معك .

أحضر الطوبجي إناء به ماء ، وأخذ يتلو بعبارات غير مفهومة ربنا تكون باللغة الكلدانية القديمة . ثم طلب من سارة أن تضع قدمها اليسرى فى هذا الوعاء ، ثم قام بذبح الديك وأخذ دمه ووضعه على الماء الذى كان به قدم سارة . وهنا صرخت

سارة وتصاعد الدخان من الماء ، وكأنه ابتدأ بمرحلة الغليان . أخرجت قدمها مسرعة من الماء ، وهنا وجدت كيساً صغيراً لونه أسود عالقاً فى أصابع قدمها .

اندهشت أم سارة جداً وقالت للطوبجي : بركاتك يا شيخ . نظر الطوبجي لسارة وقال : مبروك يا سارة العمل اتفك خلاص ، الجني سحبه من المقبرة .

سارة في بلاهة : أنا لم أستوعب الذى يحدث ؟!

الطوبجي : لا يهم أنك تستوعبين كل شيء ، ولكن المهم الآن أنك قد تعافيت .

أم سارة : حسناً ، قل لى يا شيخ من هو المؤذي الذي دبر لها هذا العمل ؟!

الطوبجي : إن الجساس قال لها ساحر شرير .

أم سارة : أجل ، هذا الساحر يعمل لصالح مَن ؟

الطوبجي : لا يهم ذلك فى شيء ، المهم أن سحرها قد تم فكه .

أم سارة : ولكنني لا أرتاح ويهدأ لى بال غير عندما أعرفه .

الطوبجي : يعني مصممة ؟

أم سارة : نحن نعشم فيك خيراً ، إذا كنت تعرفه ، فأخبرنا من هو إذن ؟

الطوبجي : حقيقة إني لا أعرفه ، ولكن يمكنني معرفته إذا أردت ، غير أنني أري أنه لا داعي لهذا الآن ....

أم سارة : لا طبعاً . هناك داع لهذا ، لأجل أن نأخذ حذرنا منه مرة أخري .

الطوبجي : يا أم سارة لقد اتفقت معك على فك السحر ، وليس على قول اسم من سحر ابنتك ....!

أم سارة : وأنا تحت أمرك .

الطوبجي : حسناً ، إذا كان هذا طلبك ، فسوف آخذ منك ألف جنيه فوق الاتفاق .

أم سارة : أنا موافقة بشرط أن أعرفه .

الطوبجي : وأنا سأخبرك باسمه .

أم سارة : قل لى من هو إذن ؟

الطوبجي : سارة

سارة : نعم

الطوبجي : ستأخذين ذلك السحر ، وتمسكينه بيدك اليسرى ، ثم اذهبي إلى الغرفة التى بها التمر .

سارة : تمام

الطوبجي : وأغمضي عينيك وقولي : نبوخ بنوخ نبوخ . وانتظري ما سيحدث واحكيه لنا .

فعلت سارة مثلما أمرها الطوبجي ، حيث رأت حسام ابن خالها يأخذ كيساً من ساحر مثل الذي كان في يديها ، ويذهب به إلى مقبرة ما ، ويدفنه تحت رأس ميت .....!

ثم يغلق باب القبر ويخرج مسرعاً دون أن يراه لحاد القبور ....

تعجبت سارة جداً من هول ما رأت ، ثم قصت ما رأت على أمها ، وكان الطوبجي يجلس ويسمع باهتمام .

سألت سارة الطوبجي : هل ما رأيته هذا كان حقيقياً . أم مجرد خداع بصري فقط ؟

الطوبجي : الذى رأتيه ، كان حقيقياً ، إلا إنه نوع من الذاكرة المصورة المخزنة .

سارة في اندهاش : وكيف رأيت حدثاً قد انتهي فى الماضي ؟

الطوبجي : عن طريق الكلمات السحرية التى قلتيها .

أم سارة : لقد كنت أشعر بأن حسام هذا قد أذاها ، خصوصاً بعد أن تقدم لخطبتها ونحن قد رفضناه ، لأنه غير مناسب لها بالمرة ...

سارة : ولكن هذا آخر شيء كنت أتوقعه منه يا أمي .

الطوبجي : كل شيء وارد ومتوقع في هذا الزمن .

سارة : لكن ما هو وجه الاستفادة من فعله هذا ؟

الطوبجي : الاستفادة فى أن ينغص عليك عيشتك وحياتك .

أم سارة : وأنا أيضاً أريد أن أسقيه من نفس الكأس .

الطوبجي : وأنا تحت أمرك ، ولكن هذا له حساب لوحده .

سارة : لا يا أمي أتركيه لخالقه ، فهو الجبار المنتقم العادل ، ولا يصح لنا أن نعامله بمعاملته هذه .

الطوبجي : وأنا كذلك أقول مثلها الطيب أحسن .

أم سارة : لكن ....

سارة : لا يوجد لكن . وهيا بنا من هنا .

خرجت سارة من عند الطوبجي وعادت إلى منزلها ، وبعد حوالى عدة أشهر قليلة بدأت تشعر بأعراض الحمل ، فعملت التحاليل وجاءت النتائج إيجابية .

اندهشت سارة لأنها فقدت الأمل ، وظنت أن الطوبجي دجال ، وأنه خدعها حتي يأخذ أموالها . فرح أيمن كثيراً بهذا الخبر ، أخبرت سارة أمها . ففرحت كثيراً وقالت لها : إن هذا هو المتوقع بعد فك السحر .

" الفصل الثالث "

*** سارة تنجب :**

مرت الأسابيع والشهور وكان كل شيء على ما يرام ، الحمل مستقر ، الجنين بخير وصحة جيدة ، وجاءت لحظة الولادة ، حيث رزقت بطفل جميل

أيمن : حمداً لله على سلامتك يا حبيبتي

سارة : الله يسلمك يا حبيبي

أم سارة : يتربى فى عزك يا أيمن

أيمن : تعيشي يا ماما

أم سارة : وماذا ستسميه يا تري ؟

أيمن : لست أدري

أم سارة : وأنت يا سارة ؟

سارة : لست أعلم .

أم سارة : حسناً ، ما رأيكما في اسم معاذ ؟

سارة : اسم جميل

أيمن : على بركة الله سنسميه معاذ ، ثم ينظر إلى زوجته سارة ويقول لها : حتى وأنت خارجة من غرفة العمليات مازلت أيضاً قمراً ، تبتسم له سارة ابتسامة رضا ، دون أن تتفوه بكلمة ...

أم سارة : طبعاً يا ابني إنها جميلة مثلي .

أيمن : بالطبع يا أمي .

مرت الأيام وتحسنت صحة سارة تدريجياً بعد عملية الولادة ، ثم اتفق أن يتم عمل حفل سبوع لمعاذ خصوصاً أنه أول فرحتهم ، وكانوا يحلمون بهذه اللحظة السعيدة منذ عدة سنوات مضت ، بالفعل تم إعداد مراسم السبوع الذى أقيم فى شقة أم سارة ، حيث قامت بدورها بدعوة الأصدقاء والجيران ، وتم تجهيز الشموع وأغاني الاحتفال ، وتم دق الهون الذى كان بيد أم باسل حيث قالت للصغير : اسمع كلام أمك ولا تنصت لكلام أبوك ، اسمع كلام جدتك .....

غمرت الفرحة والبهجة أرجاء المكان ، الكل كان سعيداً بالمولود الجديد . حضر الحفل أيضاً العمال الذين يعملون مع المهندس أيمن أبو المولود . وهوذا المعلم برعي قد جاء أيضاً ومعه ظرف يحتوي على مبلغ لا بأس به من النقود ، وكان مكتوب على الظرف ألف مبروك بالمولود الجديد . الحق يقال إن اليوم كان لطيفاً ، وكأنه يوم زفاف ابنها وليس مولده .

بعد الانتهاء من الحفل انصرف الجميع ، ثم نظر أيمن إلى سارة وقال : جهزي شنطتك اليوم يا سارة ، لأن غداً إن شاء الله سأمر عليك وآخذك إلى شقتنا .

سارة : حسناً يا أيمن مثلما تحب .

أم سارة : أنت جالس يا أيمن تنورنا .

أيمن : معذرة يا أمي يكفى هذا ، لابد لها من العودة لبيتها ، إنه مظلم من دونها ، كما إنني مللت جداً ، فأنا جالس بمفردي منذ ثلاثة أسابيع كما تعلمين .

أم سارة : لقد قلت لك يا ابني أن تبقى معنا هذه المدة ، إلى أن تتحسن صحة سارة . ولكنك رفضت طلبي هذا ...

أيمن : معذرة يا أمي ، أنت تعرفين جيداً أن شقتك هذه بعيدة عن عملي ، بينما شقتنا هناك تعتبر أقرب .

أم سارة : لا أعلم ماذا أقول لك يا ابني ، غير أن ربنا يصلح حالك ويعينك على أكل عيشك .

أيمن : تعيشي يا ماما ربنا يخليك لنا ، أستأذنك أنا .

أم سارة : يا ابنى الوقت قد تأخر، يمكنك المبيت معنا لصباح الغد ، ثم اذهب بسلام. أنا أخشي عليك من قيادة السيارة ليلاً يا أيمن .

أيمن : وهل هذه هى أول مرة أقود بها في الليل ؟!

أم سارة : معذرة يا ابني نحن نحبك ونخاف عليك .

أيمن : يعنى ماذا تريدون مني الآن ؟

سارة : نريدك أن تظل معنا حتى الصباح فقط .

أيمن بابتسامة : حسناً كلامكم هذا أوامر ، ولكن بالله عليكم لا أريد أن أتأخر غداً عن العمل .

أم سارة : لا يا بني إن شاء الله لا يوجد أي تأخير .

فى الصباح الباكر استيقظت سارة ، وذهبت إلى الحمام لتغسل وجهها ، ثم ذهبت للمطبخ لتجهيز الفطار ، وتوجهت بعدها لأيمن لكى توقظه . استيقظت الأم فوجدتها مرتدية ملابس الخروج ....

فقالت الأم بتأثر : هل قررتما على الرحيل الآن ؟

سارة : معذرة يا أمي ، فما الذى أقدر أن أفعله ؟

أيمن : لا تحزني سنجيء لك يوم الجمعة القادمة إن شاء الله ، سنقضي اليوم كله معك ، ولو حضرتك تريدين المجيء معنا ، فحقاً ستشرفيننا .

أم سارة : أفضل أن أترككما على راحتكما ، وإن كان معاذ سيوحشني كثيراً

سارة : لا تقلقي يا أمي ، فكل يوم سأسمعك في التليفون صوت بكائه ...

تبتسم أم سارة وتقول : الله قادر أن يحفظه لكما ، وأن يعطني العمر حتى أراه عريساً قد الدنيا .

سارة : ربنا يعطيك الصحة يا ماما

أيمن بابتسامة : مع السلامة يا ست الكل

أم سارة : مع السلامة يا أحبائي ، في رعاية الله وسلامه .

أخذ أيمن الشنط وأخذت سارة معاذ ابنها وخرجوا الثلاثة من المنزل ، ثم توجه أيمن بالسيارة إلى منزله ، حيث وضع الشنط فى الشقة ، وودع سارة زوجته ومضى مسرعاً إلى عمله .

+ مناورات حول سارة :

بينما كانت سارة جالسة فى سريرها ترضع طفلها معاذ وفجأة .....!

سمعت صوت خبط فى الصالة ، وكأن شيئا ما قد وقع وتحطم . فزعت سارة جداً لأن الصوت أتاها بغتة وكان مزعجاً وعالياً جداً ، خرجت سارة مسرعة لتنظر ما حدث ، تفحصت كل شيء ، ولكنها لم تجد آثاراً لأي كسر أو تحطم .....!

تعجبت جداً من الذي يحدث ، ودخلت غرفتها مرة أخرى ، حتى تستكمل رضاعة ابنها ، إلا أن الموقف تكرر أيضاً . اضطربت سارة جداً ، وخرجت بحرص لتنظر ، فلم تجد أحداً . كل شيء يبدو طبيعيا ومألوفاً جداً .

قررت أن تجلس فى الصالة حتى يمكنها رؤية ما يحدث ، إلا أنها انتظرت كثيرا ولكن لم يحدث أي شيء .....!

قالت سارة فى نفسها : ربما هذا بسبب آثار إجهادي نتيجة قلة النوم بسبب بكاء طفلي طوال الليل . ربما عدم كفايتي من النوم جعلني أفقد أعصابي وأتخيل أصواتاً لا وجود لها .

لم تصارح أيمن زوجها عندما جاء من الشغل بما حدث اليوم معها . بل قالت : ينبغي أن أتأكد الأول مما يحدث فى الشقة ، ثم أبلغه بعدها حتى نعرف كيف نتصرف ؟

فى اليوم التالي كانت سارة جالسة بمفردها فى الصالة ، بينما كان معاذ مستغرقاً فى النوم داخل غرفتها . وفجأة سمعت صرخة تدوي من رضيعها . قامت مسرعة إليه لتتفقده وتعرف ما أصابه من أذى . إلا أنها فوجئت بأنه مازال مستغرقاً فى نومه .

حدثت سارة نفسها قائلة : كيف هذا ؟ لقد سمعت صرخته العالية تدوي فى أذني ؟ حقيقة أنني لا أجد آية تفسيرات لما يحدث لى . ربما لأنى أحبه كثيراً ومتعلقة به ، قد تهيأ لى هذا . سأحاول إقناع نفسى بهذا المبرر .

ذهبت سارة إلى المطبخ وأعدت لها مشروب الشيكولاتة المفضل ، حيث قالت : ربما إذا تناولته تهدأ أعصابي قليلاً . وبعد انتهائها من شربه ، جلست مسترخية على الأريكة وأغمضت عينيها وفجأة ....!

سمعت صوت زوجها أيمن ينادي عليها من داخل المطبخ . فتحت عينيها متعجبة من هذا ، وفكرت فى نفسها قائلة : ما الذى جاء بأيمن فى هذا الوقت المبكر من النهار ؟ إنها ليست مواعيده .....!

ولماذا يناديني من المطبخ ؟

إن أيمن لم يدخل المطبخ فى حياته أصلاً ....!

إنه معتاد أن أفعل له كل شيء ....!

قامت من على الأريكة وذهبت إلى المطبخ ، لتجده خالياً تماماً فأيمن لم يكن موجوداً بداخله . بحثت عنه فى كل الشقة ولكنها لم تجده أيضاً .....!

بدأت سارة تضطرب وتقول : ما الذى يحدث لى ؟!

ما الذى يجرى هنا فى الشقة ؟!

هل أصبت بالجنون ؟!

ماذا أفعل الآن ؟ هل أخبر زوجي بالذي يحدث ؟ ربما أقول له ولا يصدقني ؟

عندما حل المساء خلدت سارة إلى النوم ، وفى صباح اليوم التالي اكتشف أيمن وجود آثار وبقع حمراء فى جسدها ، بالتحديد فى ذراعيها وأرجلها أيضاً . انزعج جداً عليها ، وأيقظها من نومها وسألها عن سبب هذه العلامات والبقع ، فنظرت سارة لجسدها فى دهشة وقالت : إنها أول مرة ترى مثل هذا المنظر فى حياتها ، وأنها كانت تحلم حلماً غريباً ، أن أحداً ما يطاردها ويحاول اللحاق بها ، ولكنها قاومته وحاولت الهروب منه ، إلا أنه مسكها من يدها ورجليها . تعجب أيمن من هذا كثيراً ثم قال لها : دعك من هذا الحلم ولا تبالى به ، والآن اجهزى لنذهب إلى الطبيب لنطمئن على صحتك .

سارة : ولكنك ذاهب إلى العمل الآن ....!

أيمن : لا يهم العمل ، يهمني أنت فقط .

سارة فى دلال : لم أكن أعلم أنى مهمة عندك لهذه الدرجة .

أيمن : الله وحده يعلم أنك أهم شيء فى حياتى يا سارة

سارة : حسناً سأجهز حالاً

ذهب أيمن مع سارة للطبيب حيث قال لهم : لا تقلقوا بشأن هذه العلامات والبقع الحمراء ، إنها أرتكارية الدم ، ربما جاءتها نتيجة زعل أو توتر وضغط عصبي . تعجب أيمن جدا من كلام الطبيب وقال : كيف تقول هذا ؟ فأنا أحبها أكثر من نفسي ولم أحزنها قط منذ أن تزوجنا .

الطبيب : أنت سألتني عن السبب وأنا قد أجبتك . على أى حال سوف أعطيها حقناً وأكتب لها على مراهم ، وإن شاء الله تكون بخير .

شكر أيمن الطبيب وخرج من عنده ، وقال لسارة : ذكريني يا سارة هل صدر منى

شيء البارحة أو قبل ذلك ضايقك ؟

سارة : لم يحدث بيننا شيء حتي أتضايق منك

أيمن : وماذا عن ماما ومعاذ هل صحتهم جيدة ؟

سارة : نعم الحمد الله هم بخير

أيمن : هل حدث لك مكروهاً قدر الله فى العائلة ؟

سارة باستغراب : لا

أيمن : إذن أعطنى تفسيراً واحداً لحالتك هذه ؟!

صمتت سارة ولم تجب بشيء

أيمن : هل ترغبين فى أن آخذ إجازة من عملى ، ونسافر إلى الغردقة يومين نستعيد فيهما حالتك النفسية ؟

سارة فى فرح : نعم نعم أرغب فى ذلك

أيمن بابتسامة هادئة : كان من الممكن أن تطلبي منى هذا يا سارة ، بدلاً من أن تقلقيني عليك بهذا الشكل المروع .

قدم أيمن طلب الإجازة وسافر مع زوجته سارة وطفله معاذ إلى مدينة الغردقة ، نزل فى نفس الفندق الذى كان مقيماً فيه أيام شهر العسل ، فرحت سارة جداً بهذه المفاجأة الجميلة . قال أيمن : إننى وعدتك أن نأتي إلى هنا ، ووعد الحر دين عليه .

كانت سارة تتحسن بشكل ملحوظ ، إن سحر الطبيعة الخلابة ، والجو البديع ، والمناظر المبهجة ، واستعادة ذكرياتها الجميلة فى ذلك المكان ، عوامل ساهمت فى تحسن صحتها . تمنت سارة أن تقضى بقية أيام عمرها فى هذا المكان الساحر ، ولكن ربما هذه كانت أمنية المستحيل ، وكأي شيء جميل ينتهى فى حياتنا بسرعة . مرت الأيام ورجعت سارة لمنزلها ، وعاد أيمن كذلك إلى عمله .

وبينما كانت تجلس فى غرفة نومها ، سمعت صوت جرس منزلها يرن ، ذهبت للباب وتساءلت من الطارق ، فلم يجبها أحد ...!

نظرت من (العين السحرية) فلم تر أحداً أيضاً ...!

تعجبت جداً من هذا وبدأت عليها علامات القلق والحيرة ، ثم قررت أن تذهب إلى غرفتها وأن لا تبالى بالذي حدث .

وما أن دخلت من هنا حتى رن جرس الباب مرة أخرى من هناك ، تعصبت سارة جداً فى هذه المرة ، ولم تتفوه بأي كلمة ، بل قامت مسرعة إلى باب المنزل وفتحته دفعة واحدة ، ولكنها لم تجد أحداً أيضاً . أغلقت الباب وظلت واقفة وراءه لأكثر من نصف ساعة لعل الجرس يضرب مرة أخري ولكنه لم يفعلها ، إلى أن استيقظ رضيعها فركضت إليه مسرعة. بدلت حفاظته وثيابه إذ كانت مبتلة من العرق الكثير ، وقامت بإرضاعه وظلت معه إلى أن خلد إلى النوم مرة أخرى ، فتركته وذهبت إلى المطبخ لتعد الغذاء لزوجها أيمن . وبينما هى تجهز للطعام سمعت صوت أرجل تسير فى الصالة ، ظنت أن أيمن زوجها قد عاد ، نظرت لساعة الحائط الموجودة فى المطبخ لاحظت أنها مازالت الثانية ظهراً ، فكرت فى نفسها قائلة : إن أيمن زوجي لا يأتي قبل الخامسة مساء ، ولكن إن لم يكن هو أيمن فمن يكون إذن ؟ ربما يكون لص ؟ ولكن هل تأتى لصوص فى وضح النهار ؟!

خافت سارة جداً وانعقد لسانها فلم تستطع الكلام ، حاولت أن تصرخ أو أن تفعل أي شيء ولكن دون جدوي ، حاولت أن تقاوم ولكنها تسمرت مكانها ، لم يسعفها جسدها الضعيف فى عمل شيء ؟ ظلت على هذا الوضع فترة لا أعلم كم مقدارها ، إلا إنها لما عادت لطبيعتها ، قررت أن تواجه وتخرج للصالة ، خرجت متسلحة بعصا المكنسة الخشبية ، تحركت ببطء شديد دون أن تصدر أي صوت ، حتى لا تلفت النظر إليها ، ولكنها لما خرجت لم تجد أحداً .... !

تعجبت جداً فى نفسها وقالت : هل الجنون وصل بى لهذه المرحلة ؟ أنا لا أسكت على وضعي هذا لابد من فعل شيء . وبعد التفكير العميق استقرت على أن تتصل بأمها وتخبرها بما يحدث بكل تفاصيله .

سارة : ألو

أم سارة : ألو

سارة : كيف حالك اليوم يا أمي ؟

أم سارة : الحمد لله أنا بخير وأنت ؟

سارة : أنا لست بخير يا أمي

أم سارة : هل أيمن بخير ؟

سارة : نعم يا أمي

أم سارة : هل حدث مشاجرة بينكما ؟

سارة : لا يا أمي

أم سارة : هل صحة معاذ جيدة ؟

سارة : نشكر الله يا أمي

أم سارة : إذا كانت الأمور تسير على ما يرام ، فأين توجد المشكلة إذن ؟

سارة : إني أسمع أصواتاً غريبة ، وأحياناً أرى فى أحلامي وكأن شخصاً ما يطاردني ، وهذا الموضوع قد زاد جداً وبدأ يزعجني بشكل ملحوظ ويوترني .

أم سارة : ربما يكون ابن خالك صنع لك عملاً مرة أخرى يا ابنتي

سارة : لست أعلم يا أمي

أم سارة : لابد من الذهاب للطوبجي .

سارة : الطوبجي مرة أخرى ، لأجل خاطري لا أريد الذهاب إليه يا أمى .

أم سارة : ولم رفضك له يا أبنتي ، تذكري أنه هو من قام بفك السحر لك .

سارة : عندما أذهب إلى هذا المكان فإن الرعب ينتابني ، كما أن هذا الرجل أخاف منه كثيراً دون أي سبب واضح . لا أريد أن أقابله يا أمي .

أم سارة : حيرتني معك يا سارة ، ماذا تريدين إذن أن أفعل ؟

سارة : سأذهب إلى طبيب نفسي ، ولكن اجعلي هذا الموضوع سراً بيننا ، سأترك لك معاذ ، وأذهب إليه بمفردي .

أم سارة : الله معك يا حبيبتي ، ويشفي عنك يا ابنتي

سارة : آمين يا أمي .....

*** دكتور نفسي :**

أغلقت سارة الهاتف ، بعد أن ودعت أمها . وفى اليوم التالي ذهبت إلى الطبيب النفسي (أ.ك) فى عيادته الخاصة .....

الطبيب : أهلا وسهلا بك يا فندم تحت أمرك

سارة : شكراً لترحيبك ، فى الحقيقة أنا سيدة متزوجة منذ عدة سنوات ورزقت بطفل منذ عدة أشهر قليلة .

الطبيب : ما هو أسمك ؟

سارة : اسمى سارة

الطبيب : كم يبلغ عمرك ؟

سارة : ثمان وعشرون سنة .

الطبيب : ما هى مشكلتك ؟

سارة : أسمع أصوات حولي ، وعندما أذهب إلى مصدر الصوت ، فلا أجد شيئاً

الطبيب : جميعنا نسمع العديد من الأصوات اليومية ، لا أرى أن هذا يشكل آية مشكلة ، كما أنه ربما تسمعين أصواتاً تكون موجودة فى الشارع مثلا ، أو عند الجيران ، فإذا افترضنا أنك تسمعين صوت بائع وعندما ذهبت للشرفة مثلاً لكى تشتري منه شيء ما ، ولم تجديه فهذا شيء طبيعي جداً ربما كان يسير سريعاً بسيارته ، فلم تلحقي به ، إن هذا الأمر يحدث كثيراً مع زوجتي ، فلا تبالي به .

سارة : ولكني أسمع أصواتاً أخرى غير التى ذكرتها هذه .

الطبيب : حسناً يمكنك أن تشرحي لي ما يحدث معك بالضبط بكل التفاصيل

سارة : ذات مرة سمعت صوت جرس الباب ، وعندما فتحت باب المنزل لم أجد أحداً .

الطبيب : أحياناً هذا يحدث نتيجة ، لأن أحد الأطفال الصغار يضربون الجرس ويلوذون بالفرار ، فلا تستطيعي أن تلحقي بأحدهم أو حتي تريه .

سارة : ولكن العمارة لها حارس يهتم بها

الطبيب : ولكن من الوارد أيضاً أن هذا الحارس يذهب لشراء بعض الطلبات للشقق الأخرى .

احتارت سارة مع هذا الطبيب ، ولم تجد ما تقوله له فقررت أن تصمت ، سألها الطبيب عن سبب ذلك ، فقالت سارة : في الحقيقة لا أجد ما أقوله لك .

الطبيب : حسناً دعني أسألك أنا أفضل

سارة : اتفقنا

الطبيب : هل تكرر معك موقف الجرس أكثر من مرة أم لا ؟

سارة : تكرر أكثر من مرة .

الطبيب : حسناً ، هل تتذكرين مواقف أخرى حدثت لك غير هذا الموقف

سارة : نعم . ذات مرة كنت فى المطبخ أجهز لطعام الغذاء ،وسمعت صوت أقدام في الصالة ، فخفت جداً واضطربت لأن هذا كان ليس موعد زوجي ، ولما ذهبت للصالة لم أجد أحداً .

الطبيب : هل ما يحدث لك هذا منذ زمن بعيد أم قريب ؟

سارة : لا من فترة قريبة بعد إنجاب طفلي منذ حوالى شهرين فقط

الطبيب : وماذا يعمل زوجك ؟

سارة : مهندس معماري

الطبيب : وأنت هل تعملين ؟

سارة : لا أنا ربة منزل

الطبيب : هل تقيمين بمفردك فى هذه الشقة ؟ أم يقيم معك أحد غير زوجك كحماتك مثلا ؟

سارة : لا أقيم بمفردي ، ولكن أمي تزورني أحياناً أو أنا أذهب إليها .

الطبيب : ومتى يعود زوجك من عمله ؟

سارة : لا يوجد له مواعيد عمل ثابتة ، ولكن المعتاد أنه لا يرجع قبل الخامسة مساء

الطبيب : هل يسافر أحياناً ؟

سارة : نعم يسافر كثيراً بسبب ظروف عمله ، فعندما ينتهى من موقع البناء ، تقوم الشركة بإرساله لموقع آخر لكي يبنيه ، وأحياناً يكون الموقع بعيداً عن محل إقامتنا . فيضطر بالمبيت هناك وذلك اختصاراً للوقت والجهد فى مشقة الطريق .

الطبيب : ماذا تفعلين فى الفترة التى يكون مسافراً فيها ؟

سارة : أبداً أظل جالسة فى شقتي ، وأحياناً أذهب إلى والدتي فى شقتها

الطبيب : هل الأصوات التي تسمعينها دائماً تكون فى شقتك ؟

سارة بتعجب : نعم

الطبيب : ولكنك عندما تذهبين إلى منزل والدتك لا تسمعينها ؟

سارة : مضبوط كلامك صحيح ، ولكن من أين عرفت هذا ؟!

الطبيب بابتسامة : يا أستاذة سارة حضرتك سليمة جداً وإنسانة طبيعية ، ولا تعاني من أي أمراض نفسية مطلقاً ، إن القلق والتوتر والوحدة هى الأسباب الحقيقية التى تخيل إليك هذه الأصوات .

نصيحتي لك أن تبحثي عما يشغلك ، أفضل من أن تقنعي نفسك بأنك مريضة ، كما لابد من تهدئة نفسك ، ومقاومة القلق الذي بداخلك ، وأنا سأكتب لك على مهدىء تتعاطينه عند اللزوم فقط .

سارة : يعني أطمئن يا دكتور

الدكتور : اطمني جداً أنت أفضل بكثير مني

سارة : العفو يا دكتور

الدكتور : مع السلامة يا فندم .

ذهبت سارة إلى منزل والدتها ، لأن أيمن كان قد بعث فى مأمورية إلى صعيد مصر ، حيث أنهى عمله فى الموقع ، فأرسلته الشركة إلى مدينة أسوان حتي يشرف على المباني الجديدة هناك . وقررت أن تقضي معها هذه الفترة حتى يعود زوجها

من سفره ، وتكون بهذا عملت بنصيحة الطبيب المعالج ، في أن تتغلب على وحدتها هذه .

بعد يومين استيقظت أم سارة على صرخة ابنتها ، فقامت مسرعة إلى غرفتها وقالت : بسم الله الرحمن الرحيم ، مالك يا سارة يا بنتي .

كانت سارة تبكي بدموع ولا تستطيع الكلام ، فقالت لها الأم : اهدئي يا ابنتى لم يحدث شيء حتى تنهاري في البكاء هكذا . بعد عدة دقائق بدأت سارة تستعيد وعيها وتقول بتلعثم : إن نفسه كان في نفسي ، لقد أمسك بيدي بقوة ، لم أستطع مقاومته ، كان يريد أن يتهجم علىَّ .

أم سارة : من هذا يا ابنتي ؟ لا يوجد أحد هنا سوانا ، والله ثالثنا ، يبدو أنك كنت تحلمين بكابوس . والحمد الله أن الكابوس قد ذهب لحاله . سمي يا ابنتي باسم الله وحاولي أن تنامي .

في اليوم التالي تكرر نفس الموضوع أيضاً . فقالت الأم لها : إن هذا الموضوع لا يمكن أن نسكت عليه أكثر من هذا ، لابد من الذهاب للطوبجي .

سارة : ولكن يا ماما .

أم سارة : لا يوجد لكن ، لقد قلت لك منذ حين أن نذهب إليه ، وأنت رفضت بحجة أنك تخافين منه ، وأنك تردين الذهاب أولا للطبيب ، ها قد ذهبت ولم يحدث شيء .

*** العودة للطوبجي :**

بعد مرور أسبوع ذهبت أم باسل مع سارة للطوبجي ، بينما جلست أمها بطفلها معاذ لأنها خافت عليه من الذهاب لهذا المكان .

سارة : لا تتركيني يا طنط

أم باسل : لا تخافي يا حبيبتي فأنا معك

دخلت أم باسل معها للطوبجي ، ولما شاهدهما قال لهما : مرحباً بكما ، عاش من شاهدكما ، منذ فترة بعيدة لم تأتوني ، ماذا تطلبون في هذه المرة ؟

أم باسل : سارة يا مولانا يحدث لها أشياء غريبة جداً . تسمع أصواتاً لا تعلم مصدرها ، وتشعر بأن هناك أحداً يترقبها في أحلامها .

ينظر الطوبجي لسارة ويسألها : ومنذ متي يحدث لك هذا الكلام ؟

سارة : منذ أن أنجبت طفلي معاذ

الطوبجي : ولكن قبل ولادته لم يحدث لك شيء من هذا القبيل ؟

سارة : نعم الأمر كذلك .

الطوبجي : احكي لى ما يحدث لك بالضبط .

سارة في خجل : أسمع أصواتاً مثل أقدام زوجي وعندما أتوجه للصالة لا أجد أحداً ، أحياناً أسمع صوت جرس الباب يضرب ، وعندما أذهب لا أجد أحداً ، وبعد ذلك بدأ الموضوع يتطور أكثر من هذا ، أشعر بأن هناك من يجلس بجواري علي السرير ، وأحيانا من يضع يديه على جسدي ، وكأنه يريد أن .....

الطوبجي : مفهوم مفهوم ، ولكن هل رأيته فى أحلامك ؟

سارة : جميع أحلامي أرى فيها شخصاً مجهولاً يطاردني ، يجري ورائي وأنا أحاول الفرار منه .

الطوبجي : هل تستطيعين أن تصفي لي هذا الشخص ؟

سارة : فى الحقيقة إني أتذكر ملامحه جيداً فى حلمي ، ولكني عندما أستيقظ أنسي كل شيء ، بما فيه من تفاصيل الحلم وملامح وجهه ، إلا أنني أتذكر شيئاً واحداً أن هناك من يطاردني .

الطوبجي : هل ترين خيالات وأنت في اليقظة ؟

سارة : لا إني أسمع أصواتاً فقط ، مثلما قلت لك يا سيدي .

قام الطوبجي من مجلسه ثم قال لها : انتظريني هنا حتي أعود ، دخل غرفة وبدأ في تلاوة بعض العزائم السحرية على كوب من الماء ، وبعد حوالي خمس دقائق خرج وقال لسارة : اشربي من هذا الماء .

قالت سارة : ولكني لست عطشانة الآن .

الطوبجي بحدة : قلت لك اشربي فحسب .

خافت سارة من صوته ونظرته لها ، وشربت الماء بسرعة دون توقف ، حتي شرقت وكادت أن تموت لولا مراحم الله ، انتظر الطوبجي أن يحدث شيء لها ، ولكن يبدو أن ظنه قد خاب .

تعجب جداً وقال لها : هل رأيت شيئاً أو سمعت صوتاً ما ؟

سارة : لا

الطوبجي : هل شعرت بشيء ؟

سارة : لا

الطوبجي : غريبة

أم باسل في قلق : خير يا مولانا

الطوبجي : أتمني أن يكون خيراً

سارة فى توتر : ماذا تقصد ؟

الطوبجي : إن هذه الأعراض التى لديك متشابهة مع حالات كثيرة ، من خلال كلامك انتابني الشك بأنك قد تكونين مشيت على سحر ما وتأذيت ، ولكن عندما شربت الماء ولم يحدث لك شيء ، وقتها علمت أن شكي هذا كان ليس في محله .

سارة : وماذا سنفعل إذن ؟

الطوبجي : سنجرب طريقة أخري ، هل ترين هذه الغرفة ؟

سارة : نعم أراها

الطوبجي : إذن اذهبي إلى هناك وادخلي ، ستجدين تمراً موضوعاً أمامك ، خدي تمرة بيدك وتناوليها ، وامسكي بنواتها في يدك ، ثم أغمضي عينيك وقولي لي ماذا ترين .

ذهبت سارة وفعلت كما أمرها الطوبجي ، وانتظرها بضع دقائق ولكنها لم تأت ، فاستعجلها ذلك الأخير منادياً عليها : يا سارة يا سارة .

جاءت سارة ، فقال لها : لماذا كل هذا التأخير ؟

سارة : لقد انتظرت حتى أرى شيئاً .

الطوبجي بلهفة : وماذا رأيت ؟

سارة : لا شيء

الطوبجي باندهاش : كيف هذا ؟ إن مفعول التمر يعمل بعد دقيقة واحدة ، كيف تعطل هكذا ؟!

سارة : لا أعلم

الطوبجي : ما نوع هذا السحر الغريب الذى صنع لك ؟ حتى أن جساسي لم يستطع أن يخبرني بشيء . حقيقة إنني لم أر مثل هذا في حياتي ....!

أم باسل فى حيرة : وما العمل إذن يا شيخ ؟

الطوبجي : سنضطر لاستحضار جني ونستعلم منه عن أحوالك .

سارة في اضطراب : ولكني أخاف من هذه الأشياء

أم باسل : حسناً يا شيخ ، ألا يوجد عندك طريقة أخري غير استحضار هذا الجني ؟

الطوبجي : للأسف أنا جربت معها كل الطرق ، ولم نصل لشيء كما ترين .

سارة : إني خائفة جداً .

أم باسل : لا تخافي يا حبيبتي .

الطوبجي : إذا خفت من الجني فإنه سيتلبسك .

سارة : ماذا تعني ؟

الطوبجي : أعني أنه لم يخرج من جسمك أبداً

سارة : هل أنا بداخلي جان ؟!

الطوبجي : لا ولكني سأحضر عليك .

سارة : يمكنك استحضاره بعيداً عني ، ليس شرطاً أن تحضره عليَّ

الطوبجي : هذا ليس جائزاً ، لابد من تحضير الجني على الشخص المريض .

سارة : وماذا يحدث إذن لو تلبسني هذا الجني ؟

الطوبجي : على حسب أحياناً يتعب الشخص ويؤذيه ، وأحياناً أخرى يجند لحسابه.

سارة : أقبل يديك يا شيخ ، أن تبحث عن حل آخر غير ذلك .

الطوبجي : لا أمتلك حلولاً أخرى . إذا كنت موافقة على حلي هذا ، فستأتين ليلة الثلاثاء القادم في تمام الساعة الثانية عشرة بعد منتصف الليل ، وتكونين مرتدية ملابس حمراء ، أو يكون معك عباءة حمراء ويمكنك ارتداؤها هنا .

سارة : حاضر سأفكر وأرد عليك

الطوبجي : سأنتظرك وإذا لم تأت ، فلا تفكري أن تقابليني مرة أخري بعد ذلك ، ولا تنسي أن تحضري مع العباءة خمسة آلاف جنيه .

أم باسل : حسناً يمكنك أن تكرمنا قليلاً في ذلك المبلغ يا شيخ

الطوبجي : إن التحضير يتم بمبلغ ستة آلاف جنيه ، وأنا قد أكرمتك وخفضت لك من المبلغ ألف جنيه ، نظراً لأنكم قد تعاملتم معي قبل ذلك ، وأنتم على علم اليقين بطبيعة عملي وتقدرون تعبي .

" الفصل الرابع "

* سارة والجني :

خرجت أم باسل مع سارة حيث رجعنا إلى بنايتهما . دخلت سارة وهي ترتجف لمنزل أمها ....

الأم : ماذا بك يا سارة لماذا تضطربين هكذا ؟

سارة : إن هذا الرجل الدجال لن أذهب إليه مرة أخري ، وقد قلت لك هذا من قبل

أم سارة : ما الذي حدث يا ابنتي ؟

سارة : لم يحدث شيء ، إنه لم يعرف ما الذي يوجد عندي ، ويريد استحضار جان عليَّ ، حتي يستطيع أن يخبره عن سبب ما أعانيه .

أم سارة بتلعثم وخوف : ماذا تقولين ؟ جني .....!

سارة : أرأيت يا أمي أنك مجرد ما سمعت فقط خفت وانزعجت ، فما بالك أنا الذي سيتم التحضير عليَّ .

أم سارة : حسناً يا ابنتي لا تذهبي له ، واتركيها فقط على الله .

دخلت سارة إلى الغرفة ، وبينما هي تبدل ثيابها بثياب المنزل ، صرخت بصوت مسموع حتى أن رضيعها استيقظ فزعاً على صرختها هذه ، وبدأ يبكي بصوت عال جاءت الأم مسرعة إليها لتجدها تنهار في البكاء ، نظرت الأم للطفل وسألتها قائلة : هل أصاب معاذ شيء لا قدر الله ؟

قالت سارة وهي تبكي : إن معاذ بصحة جيدة يا أمي .

أم سارة : إذا كان بصحة جيدة ، فلماذا يبكي الآن ؟ وأنت أيضاً لماذا صرخت هكذا؟ ولما تبكين الآن ؟

سارة فى اضطراب : عندما دخلت الغرفة لتغيير ملابسي ، شعرت بأن أحداً ما يريد أن يتعدى عليَّ فصرخت وقتها ، فاستيقظ معاذ على صرختي هذه وانزعج هكذا

أم سارة فى توتر : إن المرة السابقة قلنا إن الذى حدث لك كان مجرد كابوس ، وأنت كنت نائمة وقتها ،ولكنك الآن فى اليقظة فكيف حدث ذلك ؟

سارة : لقد نفذت طاقتي يا أمي ، لم أعد أحتمل أكثر من ذلك .

أم سارة : حسناً يا ابنتي يقول المثل وجع ساعة ولا كل ساعة .

سارة : ماذا تقصدين ؟

أم سارة : قصدي أنت تعرفينه جيداً يا سارة .

سارة : ولكني أشعر بخوف كبير ، والطوبجي قال لي : إذا خفت سيتلبسك الجني .

أم سارة : يا حفيظ يارب ، حسناً يا ابنتي أقرئى قرآناً مثلما قالت لك الشيخة صباح ، والله قادر أن يحفظك من كل شر .

بدأت سارة في قراءة القرآن ، ولكنها لم تشعر بأي تحسن ، بل إنها أخذت تعاني من صداع مستمر ودوار وكأنها تشعر بالغثيان . كما تكرر معها ما حدث سابقاً أكثر من مرة ، ربما في كل ليلة كانت تشعر بوجود أحد بجوارها ، وكان الأمر يسوء أكثر.

* المرجون حارس الشمعة :

جاء يوم الثلاثاء وتحت ضغط أمها ، وضغط ما يحدث لها من اعتداءات مستمرة من قوي خفية ، قررت أن تذهب مع أم باسل مرة أخري للطوبجي ....

الطوبجي : كنت واثقاً أنك ستأتين ، هل تم الاعتداء عليك ؟

سارة في خجل : نعم تم ذلك .

الطوبجي : كنت أشعر أن الذي يحدث لك هذا غير طبيعي بالمرة ، إنه خارج عن المألوف ، ولكن كذبت نفسي وقلت : إنها حالات نادرة وقليلة جداً ، فقلما تحدث ، ولذا فكرت في الاتجاه الآخر ، وهو أن أحداً ما سحرك مثلما حدث معك من قبل ، أو أنك مررت على سحر .

سارة : حقيقة أنا لم أفهم من كلامك هذا شيئاً .....!

الطوبجي : حالاً ستفهمين . هل أحضرت العباءة الحمراء ؟

سارة : نعم إنها معي فى هذه الشنطة .

الطوبجي : إذن اذهبي إلى هذه الغرفة التي أمامك ، وارتديها هناك ثم تعال لي .

بدلت سارة ثيابها ثم أتت إليه فقال لها : هل ترين هذه الغرفة الأخرى ؟

سارة : أجل

الطوبجي : اجلسي بها حتي أجيء إليك .

سارة : حسناً .

نظر الطوبجي بعد ذلك لأم باسل وسألها قائلا : وأنت يا أم باسل هل ترغبين في المجيء معنا أم ستظلين هنا ، إذا كنت من أصحاب القلوب الضعيفة فلا تأتى معنا . فكرت أم باسل في نفسها قائلة : إذا ذهبت معه ربما أخاف من ذلك الجني ، وإذا بقيت هنا ستزعل مني أم سارة ، لأنها حلفتني بأن لا أترك سارة بمفردها مع هذا الساحر ، فماذا أفعل إذن ياربي ؟ .

الطوبجي : ماذا ستفعلين يا أم باسل إن الوقت يمر أمامنا ؟

أم باسل : سآتي معك يا مولانا .

الطوبجي : وهو كذلك ، ولا أوصيك مهما سمعت أو رأيت فلا تخافي والزمي الصمت .

أم باسل : حاضر

دخل الطوبجي للغرفة حيث كانت تجلس سارة ، وتبعته أم باسل ، أظلمت الغرفة ولم يعد سوي ضوء منبعث من شمعة كبيرة فقط . بدأ الطوبجي يردد كلمات غير مفهومة ربما كانت باللغة السريانية القديمة ، حيث كان يريد إحضار جني حارس الشمعة على طريقة القسم الروحاني ، في يوم ملك الجان الملقب بالأحمر .

الطوبجي بصوت عال يقول القسم :

هله (٢) هلمت(٢) دلاله (٢) مهوله (٢) خاطفة (٢) الوحا (٢) العجل (٢) الساعة (٢) أنزل بين يدي ، وفي مقامي بحق من له عليكم من العلم وحسن المعاونة في إحضار خادم هذه الأسماء ، يوم يسمعون الصيحة ذلك يوم الخروج أنوه . اخرج

أيها العفريت وانزل بين يدي ، وفي مقامي أينما تكون يأت بك الله ، إن الله على كل شيء قدير . إن كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون . أحضر بين يدي بارك الله فيك وعليك . الوحا (٢) العجل (٢) الساعة (٢) .

إذا حضرت باسم الملك أبى محرز الأحمر اعطني العلامة .

لم يحدث شيء .

الطوبجي بانفعال وصوت عال : أقسمت عليك بحق القسم الروحاني ، وباسم الملك أبى محرز الأحمر خادم اليوم أن تحضر لي من حيث تكون ، وأن تظهر لي علامة حضورك . انتظر الطوبجي قليلاً ، وإذا بلهيب الشمعة يتمدد أمامه ويتضاعف .

ابتسم الطوبجي وقال : أهلاً بالمرجون خادم الشمعة ، بحق الملك الأحمر أن تجيب على أسئلتي ....

سارة بنت نادية أريد معرفة أحوالها الآن ، إن سارة حاضرة معي الآن وهي لابسة فستاناً ، فستانها فتان للملك الأحمر ملك الجان ، أريد أن تذهب لعشيرتك الآن وتسأل كل تابع أو جان عن أحوال هذه الإنسية ، المهم أن لا ترجع لى إلا ومعك الجواب .

بعد دقيقة تمدد لهيب الشمعة مرة أخرى وتضاعف كثيراً . قال الطوبجي : أهلاً بالمرجون خادم الشمعة ، بحق الملك أبى محرز الأحمر وفستان العروس أن تجبني على لسانها ....

قالت سارة بصوت أجش : زنهار بن طاروخ

الطوبجي : من أى عشيرة ؟

سارة بصوت أجش : عشيرة ملوك الجان السفلية

الطوبجي : ماذا يريد ؟

سارة بصوت أجش : يريد الزواج من هذه الإنسية

الطوبجي : هل هو مكلف من أحد ؟

سارة بصوت أجش : لا لم يكلفه أحد ، إنه عشقها .

الطوبجي : وكيف تم ذلك ؟

سارة بصوت أجش : زنهار هو الجني الذى كان موكلاً بها من قبل الساحر علي تعطيل إنجابها

الطوبجي : أكمل

سارة بصوت أجش : ولما كان يخدم هذا السحر لمدة ثلاثة أعوام ، وأنت قمت بفكه ، فعشقها هو بسبب طيلة هذه المدة .

الطوبجي : يا مرجون يا حارس الشمعة بحق الملك الأحمر أجبني هل زنهار بن طاروخ له معتقد ؟

سكتت سارة ولم تجب بشيء ، كذلك تقلص ضوء الشمعة أيضاً ، وبعد حوالي دقيقة أخرى ، تمدد الضوء وتضاعف .

قالت سارة بصوت أجش : زنهار من الجني الكافر ، وهو يعشق سارة منذ زمان بعيد ، ولكنه لم يتجرأ عليها إلا بعد هذا السحر الذي تم عمله لها .

الطوبجي : ولكن ملوك الجان السفلية لا يقبلون بهذا الوضع يا مرجون ، كيف يعشق زنهار إنسية ، ويترك أميرات عشيرته هكذا .....!

لابد أن يرجع إلى صوابه وإلا سأطالب بعمل محاكمة له من قبل ملك الجان ....

وهنا ابتدأت سارة تصرخ وتمسك برقبتها وكأنها تكاد تختنق ، فانزعج الطوبجي جداً وقال : بحق القسم الروحاني والملك أبى محرز الأحمر وصاحبة الفستان الأحمر ، أن تنصرف بأمان يا مرجون حارس الشمعة الخادم المطيع ، وأن تعطني العلامة . وبعد مرور ثواني قليلة انطفأت الشمعة .

أم باسل : بسم الله الرحمن الرحيم ، أعوذوا بالله من الشيطان الرجيم ، أعوذوا بالله من الشيطان الرجيم .

نطقت سارة بصوتها الطبيعي : أين أنا ؟ ما الذي يحدث لي ؟ أنا لا أتذكر شيئاً ...!

الطوبجي : أنت معنا فى الغرفة ، إن الذي قد توقعته قد وجدته ، إن الجني الذي كان موكلاً بالسحر الخاص بك بعد فك السحر قد عشقك

سارة : وماذا سنفعل إذن ؟

الطوبجي : أنا قمت بإرسال رسالة له مع المرجون خادم الشمعة ، إذا لم يبتعد عن طريقك ، سيتم إحالته إذن لمحكمة الجان لمحاكمته هناك .

سارة في ذهول : أنا لم أفهم شيئاً مطلقاً .

الطوبجي : إن الجني العاشق يحب المرأة ، ولا يتركها إلا عند الوفاة ، إنه أشبه ما يكون بالغراء أو الشريط اللاصق بتعبيرنا إذا جاز التعبير يعني ، وأنت حالياً يعتبرك في حكم زوجته .....

سارة : حسناً وماذا نستطيع أن نفعل حتى يبعد عني ، ولا يتعرض لي مرة أخرى ، وكيف يعطني ذلك الحكم ؟ وأنا متزوجة من شخص ما .....!

الطوبجي : إنه جني كافر ، لا يفرق معه هذه الشكليات ، حالياً لا نستطيع عمل شيء سوي الانتظار فقط ، سننتظر هل سيستجيب لرسالة المرجون خادم الشمعة ، أم لا ؟ إلا أنه في وجهة نظرى هذا النوع من الجان عنيد ولا يستجيب إلى آية تهديدات أو إنذارات مسبقة ، ربما يفضل المحاكمة والسجن أو الإعدام أيضاً من أن يترك معشوقته في حال سبيلها .

سارة : وكيف يتثنى لنا معرفة إذا كان سيستجيب حقاً أم لا ؟!

الطوبجي : سنعرف هذا منك أنت

سارة باستغراب : أنا كيف ؟!

الطوبجي : أنت حالياً ستمضين إلى دارك ، وتتعايشين عادى بكل حرية ، وإذا تكرر معك الموضوع مرة أخرى فعليك بالمجيء إلىَّ مسرعة ، أما إذا كانت الأمور تسير على ما يرام ، فاعلمى وقتها أنه قد استجاب لرسالة المرجون .....

خرجت سارة مع أم باسل من عند الطوبجي ، حيث وصلت إلى منزلها ، سألتها أمها عما حدث معها . فأبلغتها بأن هناك جنيًّا قد عشها ، بعد فك سحرها ..

تعجبت الأم وسألتها : هل الطوبجي حل هذه المشكلة ؟!

سارة : لست أدري ...

أم سارة : هل أخذ منك مالاً ؟

سارة : نعم أخذ مني خمسة آلاف جنيه .

أم سارة : حسناً طالما أخذ منك المال ، فبذلك يكون قد حل المشكلة .

سارة : أتمني ذلك .

مر أسبوع ثم شهر ولم يحدث شيء ، وعاد أيمن من سفره أيضاً ، حيث كان قد سافر إلى صعيد مصر ، لكي يشرف على بناء مبني ضخم هناك .

أيمن : وحشتني جداً يا حبيبتي .

سارة : وأنت أيضاً يا روحي

أيمن : لقد كنت أعمل ليلاً ونهاراً حتى أجيئك فى أقرب وقت

سارة : يا حبيبي يا أيمن ، حقاً لقد تعبت من أجلي كثيراً

أيمن : إذا لم أتعب من أجلك فمن أجل من أتعب إذن ؟

تبتسم سارة وتقول : ربنا يخليك لي يا حبيبي

قضي الزوجان اليوم مع بعضهما وطفلهما ، وفي اليوم التالي أخذها أيمن في نزهة لحديقة الحيوان ، حقاً كان يوماً ممتعاً قد أنساها تعب الفترة العصيبة السابقة التي مرت بها ، دون أن تخبره بها .

*** زنهار بن طاروخ :**

في الصباح عاد أيمن إلى عمله ، بينما سارة كانت مستغرقة في النوم وفجأة .....!

شعرت سارة بأن شيئاً ما يمسك يدها بقوة ويقبلها بعنف ، كانت تلاحظ وجود ذلك الشيء ولكنها لم تره ....!

كانت تدري بكل شيء يحدث لها ، إلا أن جسدها كان ثقيلاً جداً لا تستطيع تحريكه ، وكأنها شبه مشلولة تقريباً ، أو تحت تأثير مخدر قوي وفعال .

حاولت أن تصرخ لعل أحداً ما ينقذها ، إلا أن لسانها كان منعقداً و ثقيلاً مثل جسدها

بعد مرور عشر دقائق وكأنهم عشر سنوات فاقت أخيراً ، وبدأت تنهار فى البكاء . ظلت تبكي ورضيعها أيضاً يبكي وكأنه يواسيها ....

قامت سارة والدموع على خدها دون أن تمسحهما ، واتصلت بأمها وقصت عليها ما حدث . اغتمت الأم لسماع هذه الأخبار الحزينة ، لأنها ظنت أن مشكلتها قد انتهت عندما زارت الطوبجي ، ولكنها سرعان ما بدأت من جديد .....

أم سارة بانفعال : إذا كانت المشكلة لم تحل بعد ، فكيف قبض منك هذه النقود ؟ لابد من العودة إليه وإخباره بكل شيء ....

سارة :إني خائفة جداً يا أمي

أم سارة : أنا أعلم ذلك يا ابنتي ، ولكن لا يوجد لنا حل سوي هذا

سارة : وماذا أقول لأيمن إذن ؟

أم سارة : دعك من أمره سأتكفل أنا به ...

* استحضار ملك الجان المذهب :

ذهبت سارة مع أم باسل إلى الطوبجي ، حيث أخبرته بأن المشكلة مازالت قائمة ....

الطوبجي : إذن فالجني زنهار لم يستجب لرسالة المرجون ، بالضبط كما قد توقعت من ردة فعله ، هو متيم بك فلا يقدر البعاد عنك نهائياً ، إنه لا يحتمل نار الفراق ....

سارة : وماذا أفعل أنا الآن ؟!

الطوبجي : اذهبي إلى هذه الغرفة التى في الأمام ، ستجدين تاجاً مصنوعاً من الذهب ، البسيه على رأسك وأنت مكشوفة الرأس .....

سارة : ولكني محجبة ، فكيف تطلب مني أن أفعل مثل هذا الفعل العظيم ؟!

الطوبجي : يمكنك التنازل إذن عن حجابك هذا لمدة ساعة من الزمن .

سارة : ولكني لا أستطيع فعل ذلك

الطوبجي : وأنا أيضاً لا أستطيع أن أفعل لك شيئاً ، طالما لم تسمعى كلامي .

ترددت سارة في فعل هذا ، ولكنها سرعان ما وافقت على خلع حجابها ، تحت ضغط أم باسل ، وللتخلص أيضاً من مشكلتها هذه ...

قام الطوبجي بإشعال عود بخور عنبر ، ثم بدأ يتلو هذه العزيمة والتي تسمي بالبرهتية ، فهي عزيمة قوية وقسم عظيم ، لا يتخلف عنه ملك ولا يعصيه جني أو حتى عفريت ....

برهتية (٢) كرير (٢) تتليه (٢) طوران(٢) مزجل(٢) بزجل (٢) ترقب(٢) برهش(٢) علمش(٢) خوطير (٢) قلنهود(٢) برشان(٢) كظهير (٢) نموشلخ (٢)

برهيلا برهيولا ، بشكليخ (٢) قزمر (٢) أنغليط (٢) قبرات (٢) غياها (٢) كيد هؤلاء (٢) شمخاهر (٢) شمخاهير (٢) شمهاهير (٢) بكهطهونية (٢) بشارش (٢) طونش (٢) شمخا باروخ (٢) .

بسم الله الملك المحيط الدائم القدير الذى ملأ ساطع نور وجهه الأكوان ، وأمدها بقوة هيبة سلطانه ، على كل ملك وجني وشيطان وإنسي ، فخافته جميع مخلوقاته ، وتواضعت الكروبيون من أعلي مقامتها وأجابت دعوة اسمه العظيم الأعظم ، لمن تكلم به ، وأسرعت بالإجابة والبرهان المحكم ، المكتوب فى ألواح قلوب المتصرفين ، أقسمت عليكم أيتها الأرواح الروحانية ، العلوية والسفلية ، وخدام هذا العهد الكبير ، أن تجيبوا دعوتي وتقضوا حاجاتي ، أقسمت وعزمت عليكم بعالم الغيب والشهادة الكبير المتعال ، وبحق الاسم الذي تعاهدتم به عند باب الهيكل الكبير وهو بعلشاقش و مهراقش ، وإنه لقسم لو تعلمون عظيم الوحا الوحا العجل العجل الساعة الساعة ، بارك الله فيكم وعليكم . أن تحضر يا ملك أبا عبد الله المذهب وتجيب طلبي ، أعطني العلامة أعطني العلامة .....

وهنا تصرخ سارة ثم يتحول صوتها كصوت رعد ، يتفهم الطوبجي بأن المذهب قد حضر عليها وأجاب قسم دعوته ....

المذهب على لسان سارة : ما حاجتك يا طوبجي ؟

الطوبجي : أهلا بالملك أبى عبد الله المذهب خادم يوم الأحد ، أريد محاكمة الجني زنهار لأنه عشق هذه الأنسية ، وخالف قوانين العرف والعشيرة المتبعة من قبائل الجان ....

المذهب : سأستدعيه للمحاكمة ولكن بشرط

الطوبجي : وما هو شرط جلالتك ؟

المذهب : أن تذبح لي ديكاً أسود بشوشة حمراء ، ثم تأخذ من دمه وتشربه لهذه الإنسية .

الطوبجي : هل هذا الدم يقتل الجني ؟

المذهب : بل يقيم عهداً معي ، لأجل حصانتها حتى تتم محاكمته .

الطوبجي : ومتى تتم هذه المحاكمة ؟

المذهب : عند اكتمال القمر

الطوبجي : وهل جلالتك من ستحاكمه ؟!

المذهب : لابد من اجتماع ملوك الجان السبعة لمحاكمته ، إنه من عائلة ملكية ، ومحاكمته من قبلي وحدي تثير الفتن والضغائن بين جميع قبائلنا ....

الطوبجي : هل سيعدم ؟

المذهب : ربما يعدم وربما يسجن هذا يرجع لرأى المحكمة فحسب

الطوبجي : إذا سجن يمكنه فك قيوده هذه ، ويرجع مرة أخري إليها

المذهب : إن القيود تكون بسلاسل من نار ، لا يستطيع إنسي أو حتى جني أن يفكها ، لكي تفك لابد من تحقيق شروط معينة .

الطوبجي : وما هي هذه الشروط إذن ؟

المذهب : أن يتعهد أمام محكمة الجان بعدم عشقه لأى أنسية مرة أخري .

الطوبجي : ربما يتعهد لكم وبعد ذلك يضعف مرة أخري .

المذهب : هذا محال أن يحدث ، وبفرض أنه كذلك ، فعندها لا يستطيع الاقتراب منها ، لأن هذا الدم سيحرقه . إنه لعهد عظيم ....

تناول الطوبجي ديكاً أسود اللون ذا شوشة حمراء ، ثم وضع يده عليه وقال : بحق الملك عبد الله المذهب خادم يوم الأحد ، أن تقضي حاجتي في هذا اليوم المحتوم ، وأن يكون دم هذا الديك عهداً بيننا على ذلك اليوم المعلوم ....

ثم ذبح الديك وصفى دمه في كأس وأسقاه لسارة ، فتناولته بشراهة كبيرة ....

المذهب : والآن اصرفني يا إنسي .

فصرفه الطوبجي بقوله : بشلوم بشلوم أقشع أقشع انزل انزل انصرف بسلام وأمان واترك عبدك الغلبان ....

وهنا عادت سارة إلى وعيها ، حيث رجع صوتها على طبيعته الأصلية ، نظرت حولها يميناً ويساراً ، ثم تساءلت قائلة : أين أنا ؟ وما الذي حدث لي ؟!

أم باسل : إننا مازلنا عند مولانا ، حمداً لله على سلامتك

الطوبجي : الآن فقط أقدر أوعدك بأن موضوعك هذا قد انتهى للأبد .

سارة : أتمني ذلك يا شيخ طوبجي .

الطوبجي : لقد قطعت معاهدة مع ملك الجان الملك مذهب ، الذى ترتدين تاجه هذا ، إننى طالبت بمحاكمة الجني زنهار .

سارة : أنا لا أريد محاكمته ، أنا فقط أريده أن يبتعد عني ، ويتركني في حالي .

الطوبجي : سبق وقلت لك إنه لا يبتعد عنك إلا بمحاكمته هذه ، وعلى العموم اعتبري أنه أبتعد عنك ، ولن يتعرض لك مرة أخرى بعد ذلك ....

سارة : هل أعتبر هذا وعداً منك ؟

الطوبجي : نعم بكل تأكيد .

سارة : هذا الجميل لن أنساه لك بقية أيام حياتي .

الطوبجي : دعينا نصحح الفكرة ، أنا قدمت لك خدمة وليس جميلاً .

سارة : ماذا تقصد ؟

الطوبجي : قصدى إنى أريد منك خمسة آلاف جنيه .

سارة : لقد أحضرتهم لك الأسبوع الماضي هل نسيت هذا ؟!

الطوبجي : لقد حصلت منك على ثمن ما فعلته معك المرة السابقة ، ولكن ماذا عن حساب هذه المرة ؟

سارة : ولكن هذا المبلغ غير معي الآن ....

الطوبجي : لا يوجد أى مشكلة ، سأنتظرك الأسبوع القادم إذن ، يمكنك إرساله حتي مع أم باسل فلا هناك داع لحضورك هنا مرة أخرى .

أم باسل : لا يوجد عندي مشكلة في ذلك ، ولكن لماذا لم تكرمنا في تقليل هذا المبلغ يا شيخ ؟

الطوبجي : لقد قلت لكم هذا السعر ، بعد إجراء الخصم عليه .

* النهاية :

خرجت سارة مع أم باسل من عند الطوبجي ، تمنت أن لا ترجع إليه مرة أخرى ، وأن تكون استيقظت من هذا الكابوس المزعج الذى يدعي زنهار . مرت الأيام ولم يحدث شيء آخر بعدها ، عادت الأمور مثلما كانت في الماضي ، حيث كانت الأوضاع مستقرة .

تساءلت سارة في حيرة : هل حقاً اختفى ذلك الجني العاشق من حياتها ؟

هل تمت محاكمته بالفعل ، وسجنه لأجل غير مسمى ؟

هل حقاً ما حدث لها كان نوعاً من السحر ، جعلها تتأخر في إنجاب طفلها ؟

عقلها كان يقول لا ، واقعها كان يجيب بنعم .....!

حقاً كانت أغرب مغامرة مثيرة خاضتها في حياتها ، لقد كانت تجربة قاسية عليها ، إلا أنها غيرت الكثير من المفاهيم الموجودة لديها ....

تأكدت من حقيقة وجود السحر والأعمال الشيطانية ، أدركت أن هناك عالماً غير مادى يسمي ما وراء الطبيعة ، إنه العالم الخفى حيث توجد هناك الأرواح ، علمت أن الجان حقيقة مؤكدة ، كانت تظن أنه موجود في الدين فقط ، وليس موجوداً في زمان العولمة وهذا التطور العلمي الرهيب ...

إن هذا الكون كبير جداً ، وحياة الإنسان قصيرة جداً ، لا تستوعب كل ما يحدث حوله من ظواهر سواء كانت طبيعية أو غير ذلك ....

يوجد حولنا عوالم كثيرة أخرى ، لا نستطيع أن ننكرها لأننا لا نراها . نحن لا نري الأرواح لكنهم يروننا ، نحن لا نؤثر فيهم ، ولكنهم يستطيعون أن يؤثروا فينا . ربما لا نراهم حقاً ، ولكننا نشعر بتأثيرهم ، نحن لا نستطيع أن نرى الرياح لكننا نلاحظ تأثيرها في تحريك الأجسام كأوراق الشجر مثلاً .....

كذلك نحن لا نستطيع أن ننفى الشيء ، لمجرد عدم إمكانية إثباته . فما أخفاه الخالق عن عيوننا أكثر مما قد أظهره لنا . فسبحان الله الخالق العظيم .....